عدد خاص

المورد

مجلة تراثية فصلية

تصدرها وزارة الثقافة والاعلام - دار الجاحظ - الجمهورية العراقية

المجلد الثامن - العدد الرابع 1400 - 1979

4

WWW.ATTAWEEL.COM

أسد الدين محمد

من تراثنا والبغدادي

بقلم
صادق محمد الجليلي
مدرسة الولاء ـ الكرخ ـ بغداد

ـ ١ ـ

قصة الساعات في بغداد

المزولة الشمسية

اختلف الباحثون في تعيين اي من بلدان الشرق مهد الحضارات كان له فضل الاسبقية في ابتكار الساعة بانواعها ، ولا احد يستطيع ان يقرر من هو اول من ادرك فكرة استعمال الساعة لقياس الوقت ، ولكننا نعلم بان الانسان القديم استعمل الساعة الشمسية منذ زمن بعيد يرجع تاريخه الى العصر الحجري ؛ وقد سميت ساعة الشمس بـ « المزولة » واقدم ساعة شمسية عثر عليها المنقبون هي المزولة المصرية التي يحتفظ بها اليوم متحف برلين والتي يعود تاريخها الى القرن التاسع قبل الميلاد ، وقد شاع استعمال المزولة في جميع انحاء العالم الاسلامي وفي مساجده المختلفة لمعرفة اوقات الصلاة فهي بمثابة ساعة التوقيت المحلي وقد وجدت قبل اختراع الساعات الميكانيكية الحديثة والتي تعتمد بصورتها البسيطة على ملاحظة ظل العصا ، وهناك شواهد كثيرة في العراق القديم وفي مدينة سامراء بالذات تدلل على وجود مثل هذه الساعات في العراق ، ومن ذلك ما ذكره الدكتور محمد صديق الجليلي المتخصص بشؤون المزولة الشمسية واقتراحاته في تعميمها كوسيلة للتوقيت في عراقنا الحبيب في اللقاء الذي اجرته معه مجلة آفاق عربية الغراء ، فيقول : « .. فللمرة الاولى ظهرت المزولة الشمسية في الآثار العراقية .. كان ذلك في سامراء ؛ وقد اعلنت استعدادي لاعادة نصبها وتشغيلها ، ومن المؤسف ان الساعة ارسلت الى البصرة حجرا عام ١٩٧٥ .. ان هذه الساعة اثر علمي مهم في دراسة الحضارة العربية الاسلامية وهناك ايضا عدة مزاول في بلدان المغرب العربي في تونس والمغرب ..

انني ادعو الى تعميم اعتماد الساعات المزولية في كل مدينة عربية ، ولقد صممت مزولة افقية لبغداد واهديتها الى امانة العاصمة وانا بانتظار الموافقة على نصبها ، ولا احد سواي يهتم بهذا القدر بالمزاول الشمسية ، وقد سمعت من اناس اعدوا ساعات اعتيادية ، وهي ساعات بامكان اي ميكانيكي ان ينصبها على غرار ساعة الاعظمية للسيد عبدالرزاق محسوب .

وبالنسبة للساعات المزولية العربية فانا الان اعمل على حل رموز مزاول الجامع الاموي في دمشق ، وجامع عقبة بن نافع في القيروان بتونس ، فقد بعثوا الي بتخطيطات هذه المزاول لدراستها ..

WWW.ATTAWEEL.COM

وانا اليوم أدعو الى أعتماد التوقيت الشمسي الظاهري المحلي الى جانب التوقيت الاعتيادي ، وهو توقيت كان معروفا منذ القدم ولعلنا نعلم ان هناك من المزاول ما تكون احيانا بصورة ضخمة جدا يمكن ان تشاد امام البنايات والمؤسسات العلمية او في الحدائق والساحات العامة الواسعة وفي هذه الحالة تكون لوحة المزولة هي الساحة نفسها » ..

وقد ادركت معظم الدول الكبرى اهمية مثل هذه الساعات كأثر تراثي اقامتها في ابرز ميادينها العامة ، من ذلك ساعة الشمس « المزولة » التي تنتصب اليوم في حديقة لندن وفي ابرز مكان فيها ، لا لتستعمل لغرض معرفة الوقت وانما نصبت كأثر تاريخي تزين به هذه الحديقة الجميلة .

الساعة المائية

لم يشأ الانسان المبدع بعقليته ، والطموح بفطرته ان يقف الى الحد الذي يعين به نهاره بالساعة التي عرفها نقيس وقته منذ شروق الشمس وتنتهي مهمتها بغروبها ، بل ولابد وان يندفع نحو الامام ليبتكر مقياسا اخر يواكب سير حضارته يعين به وقته في الليل وفي النهار فاوجد بذهنية متفتحة « ساعة الماء » .. ويجمل بنا ان نبسط هذه الفكرة التي قامت على اساسها هذه الساعة والتي كان لاكتشافها اثر كبير في سير ركب المدنية نحو التقدم . كما جاء وصفها في كتاب « قصة الوقت » للمحامي ناجي جواد : « ان فكرة ساعة الماء كانت بدائية تماما اذا ما قيست بعصرنا الحاضر ولكنها اكتشاف عجيب اذا ما قيست بأزمان ما قبل التاريخ .. فساعة الماء عبارة عن وعاء من حجر مثقوب من الاسفل يطفو عائما على سطح الماء، وعندما يتصاعد الماء مترشحا الى داخل الوعاء فالنسبة التي يستوعبها الوعاء حتى اول اشارة تعتبر ساعة ، واذا ارتفع الماء الى الاشارة الثانية تعتبر ساعتين وهكذا .. فالفترة التي يستغرقها الوعاء حتى يغرق تعتبر المدة الزمنية المقصودة على وجه التقريب .. ومن عيوب هذه الساعة من جهة التفاوت للضغوط ، الناتج من عدم تناسب ترشيح الماء حينما يكون الوعاء مقاربا للامتلاء او عندما يقارب النضوب من جهة ، ومن جهة اخرى فان لتقلبات الجو تاثيرا مباشرا على سيرها بانتظام ، فان اختلاف درجة الحرارة مثلا ، ارتفاعا وهبوطا، لما يؤثر تاثيرا مباشرا على سيرها بالدقة المطلوبة» ..

وكان لوادي الرافدين افضلية السبق في اكتشاف واستعمال مثل هذه الساعات على ارجح الآراء ، وبالاخص في عهد البابليين ، فقد ارتبط الابداع والابتكار في شتى ميادين الحياة بالحضارات الانسانية وسيرها على مدى فترات التاريخ ، ولما كان الشرق والعراق جزء منه مهد الحضارات فلا غرابة ان يكون اختراع الساعات على اختلافها من بنات افكار ابنائه ومن ابتكارهم ، فالساعة الشمسية وهي ساعة النهار فقط قال عنها هيرودتس : ان الاغريق استعاروها من البابليين .. وكذلك الساعة المائية وهي ساعة اليوم ليله ونهاره فد عرفها البابليون قبل غيرهم من الاقوام الاخرى .. وكان العراقيون القدماء يقيسون ساعات اليوم بهذين النوعين من الساعات ، وحجة القائلين باسبقية البابليين في اختراع هذه الساعات تستند على سبقهم تقسيم الوقت الى ايام وساعات ومن مجموع هذه الايام تكون السنة الواحدة .

فكانت السنة السومرية والبابلية تتالف من اثني عشر شهرا قمريا وكل شهر يساوي ثلاثين يوما ولذا اصبح عدد ايام السنة السومرية لا يطابق عدد ايام السنة الشمسية .. وقد قسم البابليون اليوم الفلكي الى اثني عشر قسما وكل قسم يساوي ساعتين من توقيتنا الحالي .. والساعة الى ثلاثين جزءا اي ان يومهم الفلكي كان مقسما الى (٣٦٠) قسما متساويا وكما ان في السنة الواحدة (٣٦٠) يوما فكانت الدقيقة عندهم تساوي اربع دقائق من دقائقنا ، وقد جاء هذا التقسيم منذ السلالة الاكدية .. وتلافيا للفرق الحاصل بين عدد ايام السنة السومرية وعدد ايام السنة الشمسية ، وما دامت الفصول تتوالى حسب السنة الشمسية فقد اقتضت العادة من اجل ضبط الفصول ان يلحق شهر اضافي (كبيس) الى اشهر السنة الاعتيادية بعد مرور عدد من السنين لتعويض الفرق الحاصل بينهما ..

وقد عثر على ساعة الماء في معبد « الكرنك » في عام ١٩٠٤م ، وهي الان معروضة في متحف القاهرة ، وتوجد نسخة عنها معروضة في متحف العلوم في لندن .. وقد دل تاريخها الى عهد الملك امنحوطب الذي حكم مصر في الفترة الواقعة خلال (١٣٨٠ ـ ١٤١٥) قبل الميلاد ، وهي عبارة عن وعاء من حجر يؤشر عليه من الداخل بخطوط افقية ومثقوب من الاسفل ..

وهناك انواع اخرى من الوسائل الطبيعية والساعات البدائية لمعرفة الوقت كالساعة الرملية التي جاء وصفها في كتاب « قصة الوقت » : « فالشمس والماء والنار قد لعبت دورا مهما في علم

قياس الوقت .. واخيرا ظهرت الساعة الرملية فاخذت مكانها بين الساعات الاخرى في قياس الوقت ، فزجاجة الساعة الرملية اصبحت رمزا للوقت وكانت دقة قياسها للوقت موضعا لثقة الاقدمين في هذه الفترة الزمنية بينما اصبحت هذه الساعة الرملية تستعمل اليوم في المطابخ حيث يستفاد منها لتعيين وقت نضج البيض على النار ».

ساعة الرشيد لشارلمان العجيبة

ساهم العرب في عصر الدولة العباسية في تطور فن صناعة الساعات واخصها الساعة المائية ، وكانت الصناعة والابتكار والترف الفكري والحضاري من ابرز حضارة العرب المسلمين في العصر العباسي الاول حتى سمي بحق عصر الرشيد الزاهر بكل فنون العلم والمعرفة بـ «العصر الذهبي» في وقت كانت اوربا المسيحية غارقة في ظلام من الجهل قاتم اسود ..

فقد بلغت بغداد على عهد هارون الرشيد اوج عزها ومجدها واصبحت محط انظار طلاب العلم والمعرفة ، ويقصدها الداني والقاصي ليتزود من معارفها ويرتوي من عذب مائها وصفائه ، وياتيها الناس من كل فج عميق لتعطيهم الشيء الكثير دون ان تاخذ منهم شيئا ، فكانت بغداد العباسيين تزهو بعلمائها الافذاذ ورجال الفكر فيها ، فمنها انطلقت الحركات الفكرية لتصارع الافكار الاخرى وتنازعها السيادة والسلطان فكان على راسها اشهر فلاسفة التاريخ : منهم الفارابي والكندي وابن سينا والغزالي ، وفي بغداد مدارسها الفقهية وعلى راسها وفي مقدمتها مدرسة الراي والقياس وسيدها الامام الاعظم ابو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي .. وفيها المصانع الفخمة والمعامل التي تنتج للعالم كله ، واصبحت جوامع بغداد وقصورها واسواقها ومدارسها من ابرز مظاهر حضارتنا .. لذا ليس بالغريب ان تصل الساعة المائية والتي صنعتها وصممتها الايدي العراقية الماهرة في زمن الرشيد الى غاية الابداع في الفن ودقة العمل .

وكانت هذه الساعة مفخرة ما توصل اليه العلم في مجال الابتكار والاختراع في عراقنا الحبيب .. في بلاد الف ليلة وليلة العباسيين ..

اما قصة هذه الساعة فهي : لقد اراد شارلمان ملك الافرنج الذي عاصر الخليفة العباسي العظيم هارون الرشيد ان تتوثق العلاقة بينه وبين الرشيد بعد ان علم بقوته وعظمة دولته وسلطانه ليتسنى للمسيحيين الاوربيين زيارة بيت المقدس وليحميهم في ذهابهم وايابهم .. لذا ارسل اليه السفراء يحملون اليه الهدايا الفاخرة استرضاء له وكسبا لمودته ، فرد عليه الرشيد هديته باحسن منها فكانت قصة الزمن ظلت مع الزمن خالدة تروي للاجيال مظاهر حضارتنا واصالة مدنيتنا .. وكانت من هذه الهدايا ساعة مائية دقاقة مصنوعة بمهارة عظيمة اعجب بها شارلمان ودهش رجاله ، حتى زعم ان بعضهم هرب من المجلس عند سماع دقاتها ظنا منه بان شيطانا يختفي في داخلها ..

وذكر فولتير المؤرخ الفرنسي : ان اول ساعة عرفت في اوربا هي الساعة التي اهداها هارون الرشيد الى شارلمان ملك فرنسا سنة ٨٠٧م . وكانت بدعا في ذلك العصر ، حتى انها اورثت رجال الديوان حيرة وذهولا .. كان لها اثنا عشر بابا صغيرا بعدد الساعات ، فكلما مضت ساعة تفتح باب وخرجت منه كرات من نحاس صغيرة تقع على جرس فيقرع ويطن بعدد الساعات ، وتبقى الابواب مفتوحة ، وحينئذ تخرج صور اثنى عشر فارسا على خيل تدور على صفحة الساعة(*) .

ساعة المستنصرية في بغداد

لقد برع العرب في صناعة الساعات المائية الروحانية ، فكانت هذه الساعات عربية صميمة في صنعها .. ويراد بالساعات الروحانية ـ كما كانت تسمى ـ هي التي يحركها شيء خفي يشبه الروح في تحريك الاجسام بحسب راي كثير من الناس ، والساعات الروحانية فرع من فروع علم « البنكام » وهو علم صناعة الساعات لمعرفة الاوقات وقد صنف العرب المصنفات في هذه الصناعة ومنهم بديع الزمان او المعز بن اسماعيل بن الرزاز الجزري (نسبة الى جزيرة ابن عمر) الذي الف كتاب « الالات الروحانية » في ذلك . وقد طبع قسما منه بعض المستشرقين ، الفه بديع الزمان لقره ارسلان التركي الارتقي ملك ماردين « ٦٥٨ ـ ٦٩١هـ » وجعله ستة انواع : الاول في الساعات ، والثاني في الاواني العجيبة ، والثالث في الالات الزامرة ، والرابع في آلات اخراج الماء من المواضع العميقة ، والخامس في الاباريق والطسوت ، والسادس في صور واشكال تختص بذلك .. وننقل هنا صورة شبيهة بساعة المستنصرية نشرها صاحب كتاب « قصة الوقت » في كتابه منقولة عن كتاب « معرفة

(*) مجلة الوعي الاسلامي الكويتية : العدد ٢٧ سنة ١٩٦٨.

الحيل الهندسية » لبديع الزمان الجزري . . وسبق ان نشرتها مجلة اهل النقط في بحث الدكتور مصطفى جواد ـ رحمه الله ـ عن مجلة « الادب والفن » التي كانت تصدر في انكلترا باللغة العربية والتي اعدنا نحن بدورنا نشرها في هذه المجلة لنفاستها الا ان ناشرها الاول في مجلة الادب والفن ظنها « صورة لموسيقار بن لبعض السلاطين في مدخل قصره » وفي الحقيقة ما هي الا صورة ايوان الساعة .. ومن اشهر الساعات الروحانية المائية الساعة التي وصفها ابن جبير الرحالة الاندلسي ، وكانت في مسجد دمشق في القرن السادس للهجرة وما بعده وصفا رائعا دقيقا ، وقد راى ابن جبير هذه الساعة العجيبة سنة «٥٧٩هـ/١١٨٣م». وقد انشئت بعدها ببغداد سنة « ٦٣٣هـ/١٢٣٥م » ساعة مثلها قبالة باب المستنصرية التي لا تزال بفخامة بنائها تعد فخرا لفن العمارة العربي ، قال ابن الفوطي في احداث سنة « ٦٣٣هـ/١٢٣٥م » بصدد هذه الساعة ما نصه : « وفيها تكامل بناء الايوان الذي انشىء مقابل المدرسة المستنصرية ، وعمل تحته صفة يجلس فيها الطبيب وعنده جماعته الذين يشتغلون عليه بعلم الطب ويقصده المرضى فيداويهم .. وبني في حائط هذه الصفة دائرة وصور فيها الفلك وجعل فيها طاقات لطاف لها ابواب لطيفة ، وفي الدائرة بازان من ذهب في طاستين من ذهب وراءهما بندقتان من شبه لا يدركهما الناظر ، فعند مضي كل ساعة ينفتح فما البازين ويقع منهما البندقتان ؛ وكلما سقطت بندقة انفتح باب من ابواب تلك الطاقات ، والباب من ذهب ، فيصير حينئذ مفضضا ؛ واذا وقعت البندقتان في الطاستين تذهبان الى مواضعهما ، ثم تطلع اقمار من ذهب في سماء لازوردية في ذلك الفلك مع طلوع الشمس الحقيقية وتدور مع دورانها وتغيب مع غيبوبتها ـ كذا ـ .. فاذا جاء الليل فهناك اقمار طالعة من ضوء خلفها، كلما تكاملت ساعة تكامل ذلك الضوء في دائرة القمر ، ثم يبتدىء في الدائرة الاخرى الى انقضاء الليل وطلوع الشمس ، فيعلم بذلك اوقات الصلاة » .. وجاء ذكر هذه الساعة في كتاب « خلاصة الذهب المسبوك » لعبدالرحمن الاربلي المتوفى سنة ٧١٧هـ ما نصه ايضا : « ... وبني في حائط هذه الصفة دائرة عجيبة وصورتها صورة الفلك وجعل فيها طاقات صغار لها ابواب كلما سقطت بندقة انفتح باب من ابواب الطاقات وهو مذهب نضار مفضض ومضت ساعة من الزمان والبندقتان من شبه بقمان من فم بازين من ذهب في طاسين من ذهب ويذهبان الى مواضعهما وتطلع شموس من ذهب في سماء زرقاء في ذلك الفلك ومع طلوع الشمس تدور دورانها وتغيب مع غيوبها فاذا غابت الشمس وجاء الليل فهناك اقمار طالعة من خلفها كلما مضت ساعة تكامل الضوء في دائرة القمر ثم تبدو بالدائرة الاخرى الى انقضاء الليل وطلوع الشمس فيعلم بذلك اوقات الصلاة » . وقد نقل التقي الفاسي المكي في ترجمة احمد بن علي بن تغلب ابن ابي الضياء البعلي الاصل ، البغدادي المولد والمنشأ المعروف بابن الساعاتي ، ان اباه هو الذي عمل الساعات المشهورة على باب المستنصرية ببغداد لانه كان مشتهرا بعلم الهيئة والنجوم وعمل الساعات .. وقد عين ابن الفوطي سنة ولادة هذا الرجل ووفاته بقوله : « وفيها اي في سنة ٦٨٣هـ/١٢٨٤م توفي نور الدين علي بن تغلب الساعاتي وكان يتولى الساعات المشهورة تجاه المستنصرية ، وكان مولده سنة ٦٠١هـ/١٢٠٤م ».

وقد اشتهرت جماعات بحرفة هذه الساعات فعرفوا بالساعاتيين والواحد « ساعاتي » وعرف كل من ابنائهم بابن الساعاتي ذكر منهم الدكتور مصطفى جواد عن كتاب تكملة اكمال الاكمال «ص٢٢٧» طبعة المجمع العلمي العراقي » : « ومنهم ابن الساعاتي الشاعر المقتدر المشهور (بهاءالدين علي بن رستم) واخوه الحكيم الطبيب (فخرالدين رضوان رستم) و (نورالدين علي بن تغلب الساعاتي) وكان يتولى تدبير الساعات التي كانت تجاه المدرسة المستنصرية وابنه (مظفرالدين بن علي المعروف بابن الساعاتي) وحفيده (محمد بن احمد بن الساعاتي) و (محمد ابن احمد بن الساعاتي) و (ابن عمرو عثمان برمكي السعدي) قال جمال الدين بن الصابوني عنه : وهو كثير المحفوظ ، وله اليد الطولى في عمل الساعات ومعرفة الاصطرلاب » ..

وممن الف في صناعة « البنكام » تقي الدين محمد المعروف بالراصد المتوفى سنة ٩٩٣هـ فله كتاب « الطرق السنية في الالات الروحانية » وكتاب « الكواكب الدرية في البنكامات الدورية » .. ومن الكتاب الاخير نسخة محفوظة بدار الكتب الوطنية بباريس .

وقد تغنى الشعراء بساعة المستنصرية ونظموا القصائد في وصفها وعجيب صنعها ، منها قول ابي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي يمدح الخليفة :

يا ايها المنصور يا مالكا
برايه صعب الليالي يهون

تهدي الى الطاعات ساعاته الـ
ـناس وبالنجم هم يهتـدون
صـــور فيـه فلك دائـــر
والشمس تجري ما لها من سكون
دائـــرة مـن لازورد حكـت
نقطـة تبر فيه سـر مصـون
فتلك في الشكل وهذي معـا
كمثل هاء ركبت وسـط نون
فهي لأحياء العلى والنـــدى
دائرة مركـزهـا العالمـون

وفيها يقول ذو الملكتين الناثر الشاعر عزالدين عبدالحميد بن أبي الحديد المدائني :

ما مثـل الفلـك العظيـم لمبصـر
في الارض قبـل ابالـة المســـتنصر
هـذا بنـــاء معـــرب عن قـــدرة
رفعت قواعـــده بفعـــل مطهـــر
حـدت به الارض السـماء ولـم يزل
حـد الفضـائل في طبـاع العنصـر
انظـر تجـد نظـم الثـريا في ذرا
شـرفاته وضـياء نور المشـــتري
فالافـــق بين مفضض ومـذهـب
والجـو بين مكـــوفر ومعنبـر
والارض حاسرة القنـاع كانهـــا
خـــود تبـرج في رداء اخضـــر

وقال كشاجم الاديب الشاعر يصف «البنكام» الذي معناه بالفارسية (اناء مثقوب لقياس الاوقات) فعربه العرب بصـورة « بنكام » وجمعـوه على « بنكامات » :

روح من الماء في جسـم من الصفـر
مؤتلف بلطيف الحس والنظـــر
تنشـــأ لـــه حـــركات في اسافله
كانهـا حركـات الماء في الشـــجر

ان ساعة المستنصرية التي تعد من بدائـع الصناعة ونفائس الاثار ، لم يبق لها اليوم اثر ما لذا كانت دعوة بعض الباحثين لانشاء ميدان فسيح امام المستنصرية وازالة المباني المستحدثة حولهـا دعوة صادقة ومنهم الدكتور ناجي معروف ـ رحمه الله ـ الذي دعا الجهات المختصة الى صيانة حرمة تراثنا الحضاري البغدادي ، وذلك فيما يخص اول جامعة عربية كبرى وهي مباني المدرسة المستنصرية .. وقد استعرض الدكتور معروف هذه القضيـة باسهاب طالب باستخدام الاماكن التي تقع قرب المدرسة للاغراض السياحية في القطـر وللصورة والصوت وهي كلها تمثل طرازا بغداديا اصيلا ، ووضع مخططا لذلك اثبت فيه اهم الواقع والمنشآت التابعة لهذه المدرسة ومنها موقع الساعة المائيـة وقبتها الجميلة والتي عينها قبالة الباب الرئيسي بمسافة عشرات الامتار وبعدها ياتي موقع مدرسة الطب المستنصرية والمستشفى ونشر هذه الدعوة في جريدة الجمهورية البغدادية الغراء في عدد يوم الجمعة ٣١-٣-١٩٧٢ .. ونحن بدورنا نثبت هذا المخطط على صفحات هـذه المجلة لتغطي صورة واضحة عن هذا المشروع المقترح ، نقتطف شيئا مما ذكره الدكتور معروف فيما يخص ساعة المستنصرية « .. ولم تعول هذه المدرسة (اي المستنصرية) على الدراسات النظرية فقط ولم تكن في معزل عن المجتمع بل عقدت فيها مجالس المظالم والمناظرات والندوات الأدبية والعلمية واستخدمت الكثير من الاغراض الاجتماعية فذاع صيتها في العالم وقصدها العرب المسلمون والاجانب للدراسة والمناظـرة والتزود من علوم اساتذتها والتفرج على بناياتهـا حتى كان من اغلى اماني الملوك والسلاطين والوزراء والاعيان والعلماء عندما كانوا يفدون الى بغـداد بصورة رسمية او غير رسمية ان يؤذن لهم يومئذ في زيارتها وحضور الحفلات التي تقـام فيهـا والاستماع الى البحوث والمحاضرات العلمية التي يلقيها كبار رجال العلم من اساتذتها والاطلاع على خزانتها التي كانت يومئذ اعظم خزانـة للكتب في العالم اذ وضع فيها مؤسسها المستنصر بالله عند افتتاحها ثمانين الف مجلدة من المخطوطات ، والتفرج على ساعتها العجيبة التي كانت من المآثر الجليلة لبني العباس ببغداد ...

فقد اصبح من حـق المستنصرية العناية بابرازها للزوار والسياح والعلماء والدارسـين والباحثين في حضارة بغداد . ولا تتحقق هـذه العناية الا بازالة جميع ما حولها من مبان مستحدثة مشوهة واسواق مغطاة بصفائح « الجينكو » وانشاء ميدان فسيح امامها يمتد من بابهـا الشاهق حتى شارع الرشيد وشارع المامون واعادة ساعتهـا العجيبة .. » ..

الساعات البغدادية الحديثة

عرف البغداديون الساعة الحديثة منذ القرن الثامن عشر ، وكان التاجر البغدادي من انشط تجار العالم تنافسا في استيرادها من مواطن صنعها في المانيا .. وكان الموسرون من ابناء بغداد وحتى متوسطي الحال مولعين في اقتناء ساعات الجيب والساعات الجدارية لتزين جدران بيوتهم ودواوينهم وما زال بعض هذه الساعات في حوزة اصحابها حيث تعمل بدقة دون ان تنتابها مؤثرات الزمن .. فمن هذه الساعات الساعة التي يحتفظ بها احد المواطنين والتي اشارت الى ذكرها مجلة «الف باء» في عددها (٤٦٨) تحت عنوان « اقدم ساعة في بغداد » والتي يعود تاريخ صنعها الى عام ١٨٠٠م حين دخلت بغداد ضمن اول وجبة ساعات استوردت إبان العهد العثماني من المانيا عام ١٨١٠م والتي ما زالت صالحة تعمل بدقة لحد الان .. وبرز مواطن بغدادي اخر يعقب على هذا الخبر في المجلة المذكورة بعددها اللاحق (٤٧١) : ينفي فيه ان تكون تلك الساعة هي اقدم ساعة في بغداد بل ان التي اقدم منها هي الساعة التي يمتلكها هو والتي آلت من جده الى والده ومن ثم اليه ، وهي من الساعات المعروفة بـ (ام الطمغة) يرجع تاريخ صنعها الى سنة ١٧٤٩م كما هو مثبت في داخلها وهي بحالة جيدة وتشير الى الوقت بدقة حتى هذه اللحظة ! ! .

يا ترى كم من هذه الساعات الاثرية يحتفظ بها البعض ولا نعلم عنها شيئا ؟ ! ! .

ماذا لو دعت جهة من الجهات المختصة ولتكن امانة العاصمة الى تملك امثال هذه الساعات التي كانت تزين جدران البيت البغدادي ايام زمان والتي يحتفظ بما تبقى منها بعض المواطنين والمودع بعضها الاخر وقفا في بعض المساجد والجوامع الكبيرة خاصة بعد ان اصبحت نادرة وتمتاز بمسحة اثارية ووضعتها في جناح خاص من المتحف البغدادي لتمثل جانبا من مخلفات المجتمع البغدادي في القرن الماضي قبل ان تختفي وتزول ويمحى اثرها ؟ لاشك انها ثروة تراثية لا تعوض ! ! .

ومن طريف الاخبار ما ذكرته مجلة لغة العرب في مجلدها الثاني ــ العدد ١ عن تموز ١٩١٢ في باب (تاريخ وقائع الشهر) .. وهو خبر الساعة الزوالية الذي يقول : «اتخذت الحكومة في دواوينها العسكرية والملكية الساعة الزوالية (الافرنجية) مع بقاء الساعة الغروبية للصلاة والاذان وعليه فيكون فتح دواوين الحكومة في الساعة السابعة صباحا الى الساعة الثانية عشرة والنصف وحفظا لمصالح متوظفي الحكومة وحرصا على اوقاتهم اقيمت ساعتان عند باب دار الحكومة الواحدة لاوقات العبادة والثانية لاوقات الشغل » . مما يدل على اهتمام الناس بقيمة الوقت وضرورة ضبطه لتحديد اوقات العبادة والعمل ! ! ..

الساعات البغدادية ذات الابراج

وعرفت بغداد الساعات الكبيرة ذات الابراج العالية على غرار المنائر ايام حكم الوالي العثماني المصلح مدحت باشا حيث شيد لاول مرة في تاريخ بغداد هذا النوع من الابراج لينصب في اعلاه ساعة القشلة الشهيرة ، وكان ذلك حدثا مهما في تاريخ عاصمة اعرق حضارة في التاريخ وتم ذلك عام ١٨٦٩م اي بعد عشرة اعوام من نصب ساعة (بك بن) الشهيرة والتي تعلو مبنى مجلس العموم البريطاني في العاصمة لندن وتذاع دقاتها من الاذاعات البريطانية الى جميع انحاء العالم ويعود لها الفضل في ضبط الساعات وتوقيتها في بقية اقطار الدنيا.. ثم توالى نصب الساعات ذات الابراج في بغداد بعد ساعة القشلة فكانت ساعة الكاظمين عام (١٣٠٠هـ / ١٨٨٢م) ، ثم ساعة الحضرة الكيلانية عام (١٣١٦هـ / ١٨٩٨م) ، فالساعة الاعظمية عام (١٣٥٠هـ / ١٩٣٠م) ، ثم ساعتا المحطة العالمية عام ١٩٥٥م في بغداد .. وسنبين تاريخ كل منها على التوالي :

ساعة القشلة (١٢٨٦هـ/١٨٦٩م)

ارتبط تاريخ هذه الساعة الاثرية ببناء القشلة (الثكنة العسكرية وسراي الحكومة فيما بعد) التي ما زالت قائمة وماثلة امام انظارنا تحكي قصة الزمن في فترة من فترات التاريخ وبقيت وستبقى لتكون احد معالمنا الاثرية في بغداد .. وكان الشروع في بناية هذه القشلة سنة (١٢٧٨هـ/١٨٦١م) ايام الوالي نامق باشا الكبير وفي عهده لم يكمل بناؤها وقد اكمله مدحت باشا (١٨٦٨ــ١٨٧١) واقام في ساحتها برجا نصب عليه الساعة المذكورة لغرض ايقاظ الجنود الى اوقات التدريب العسكري حيث اتخذ القشلة مركزا لقواته الخيالة وكذلك مقرا لولايته ، ومن ثم اشغلت من قبل بعض الوزارات في العهد الملكي الغابر .. وساعة القشلة تدق الساعة فقط وكان رنين صوتها تسمعه بغداد كلها ــ بجانبيها الرصافة والكرخ ــ وخاصة في اوقات

الليل والفجر حيث يستيقظ على دقاتها العمال والموظفون ليذهبوا الى اعمالهم اضافة الى انها كانت تزينها المصابيح مما يساعد على رؤيتها من مسافات بعيدة في الليل .. اما اليوم فان البنايات العالية حجبتها عن الانظار كما حجبت صوتها عن الاسماع وكان الناس قد اعتادوا ان يضبطوا ساعاتهم والموظفون ان يتبينوا بها مواعيد بدء الدوام الرسمي وانتهائه من دواوين الحكومة فهي الحكم الفصل في كل اختلاف بالزمن .

بنيت القشلة وبرج ساعتها وبعض ابنية مدحت باشا التي تميز بها عهده من حجارة سور بغداد الشرقية حيث كان قائما يومذاك ، وقد هدمه الوالي المذكور على اعتبار ان بغداد ليست في حاجة له بعد استعمال المدافع كاسلحة حديثة في الحروب ودك الحصون .

انتصب برج ساعة القشلة الذي يطل على شاطىء دجلة الشرقي على مساحة مربعة الشكل طول ضلعها اربعة امتار يضيق كلما ارتفعنا عن الارض شبيها بالهرم وكان في تصميمه ايضا يشبه الى حد بعيد المئذنة ، وارتفاعه ثلاثون مترا ؛ وبداخله سلم حلزوني يحتوي على (٧٣) درجة ، وفي نهايته حوض كبير يضم مكائن الساعة ذات الجهات الاربع؛ كما يوجد ايضا جرس الساعة الذي يبلغ ارتفاعه مترا واحدا وقطره ثلاثة امتار وهو منفصل عن الساعة وعند عملية التشغيل تتصل الساعة بالجرس بواسطة جسر صغير ، وتتم عملية النصب بواسطة مفتاح يشبه الى حد كبير « هندر السيارات » لتعطي الساعة قوة تشغيل لمدة عشرة ايام والجرس لمدة سبعة ايام . ولهذه الساعة اربعة اوجه فالوجهان الجنوبي والغربي على التوقيت الغروبي (العربي) وتشير عقاربها الى الزمن بالرقم العربي المألوف ، اما الوجهان الاخران وهما الشمالي والشرقي فعلى التوقيت الزوالي (الافرنجي) وتشير عقاربها الى الزمن بالرقم اللاتيني القديم ..

ويعتلي برج الساعة سهم حديدي قائم يرتبط في منتصفه بسهم حديدي بشكل انقي متحرك يؤشر هذا الرمح حركة الرياح واتجاهاتها . . ويوجد سهم اخر تحت السهم المتحرك رسم فيه الحروف (N) بالانكليزية ويعني اتجاه الرياح الشمالية ، والحرف (S) ويعني اتجاه الرياح الجنوبية حيث يؤشر السهم المتحرك عند هبوب الرياح على واحد من هذين الحرفين لمعرفة اتجاه الرياح ، وقد صنع مؤشر الرياح هذا عند دخول الانكليز بغداد عام ١٩١٧ مع التاج وتمثال الجمل وبعض الاصلاحات والاضافات الاخرى على البرج.

وكان تمثال الجمل الذي وضع فوق مرتكز الرمح قد صنع من البرونز للقائد الانكليزي «لجمن» الذي جاب الصحراء العراقية وهو يركب الجمل فاسقط هذا التمثال مع التاج من فوق برج الساعة بسقوط النظام الملكي في العراق في تموز عام ١٩٥٨م ..

وكانت تعترض ساعة القشلة مشاكل بسيطة وسببها المطر والغبار اللذان يدخلان الساعة عبر الشبابيك فيؤديان الى تعطيلها عن العمل مما يستوجب مسحها وتنظيفها وطلاءها بالدهن باستمرار .. وكان الرجل المسؤول عن كل ذلك وعن توقيتها وضبطها وادامتها يدعى السيد عبداللطيف احمد الساعاتي وهو في العقد السابع من العمر عايش هذه الساعة وظل يعمل معها قرابة النصف قرن ، وقد توفي رحمه‌الله في مطلع عام ١٩٧٨م .. وقد خلفه في هذه المهمة المدعو السيد جبار وهو شاب في مقتبل العمر فنتمنى له العمر المديد ومزيدا من الاهتمام في رعاية اقدم ساعة في بغداد ..

ساعة القشلة وتجربة التوقيت في الاذاعة والتلفزيون

ثبت ان ساعة القشلة من الساعات المضبوطة في توقيتها لان حركتها (ميكانيكيتها) مؤسسة على اجود وادق النظريات في صناعة الساعات ولهذا السبب ومنذ تاسيسها كان اعتماد الكثير عليها في توقيت ساعاتهم .. لذا يجب ان تنال هذه الساعة قسطا كبيرا من الاهتمام و الرعاية لادامة ضبطها للوقت . وبهذه المناسبة نطرح وسبق ان طرحنا اكثر من مرة تجربة مهمة تهم الجميع لعل المؤسسة العامة للاذاعة والتلفزيون ان تفيد منها في ضبط الوقت داخل المؤسسة على الاقل فيكون بامكان اذاعة بغداد وصوت الجماهير وتلفزيون بغداد ان ينهوا الخلاف والاختلاف الذي لا يزال مستمرا بل صار مزمنا .. فتدق الساعة في احدى هذه المحطات في الوقت الذي تسمع فيه نشرة الاخبار قد بدات تذاع من محطة اخرى ؛ والبرنامج المقرر لم ينته بعد في المحطة الثالثة وهكذا يقع المواطن في حيرة من امره وهو ممسك بزمام ساعته يريد ضبط الوقت فيها وتوقيتها ! ! ..

والتجربة تتلخص في شروع الاذاعات البريطانية

في التوقيت على ساعة (بكبن) الشهيرة في لندن وكذلك الاذاعات والتلفزيون في الشقيقة جمهورية مصر العربية في التوقيت على ساعة جامعة القاهرة، فحين تدق الساعة في الجامعة تكون قد دقت في داخل الاذاعة والتلفزيون معا في اللحظة ذاتها وهذا مما يجنبها الاختلاف في ضبط الوقت ، وسوف لن تكون هذه التجربة باقل نجاحا مع ساعة القشلة اذا اريد لها ان تكون اساس التوقيت لمدينة بغداد ! ! .

ساعة الكاظمين (١٣٠٠هـ/١٨٨٢م)

ومن ساعات بغداد القديمة ذات الابراج ساعتا المشهد الكاظمي الذي يضم قبري الامامين موسى الكاظم ومحمد الجواد عليهما السلام ، فكانت الاولى على الباب الشرقي مقابل ساحة النانورة ، والثانية على الباب القبلي ، وكان قد اهدى الساعة الاولى وهي من الساعات الكبيرة الوزير الايراني « دوست محمد خان » عام زيارته للعراق بصحبة ملك ايران ناصر الدين شاه سنة (١٢٨٧هـ/١٨٧٠م) ولما لم يكن لها موضع تنصب فيه فقد بقيت في مخزن الهدايا العائد للمشهد الكاظمي الى حين شيدت قاعدة وبرج تنصب عليه ، وتم ذلك في حدود سنة (١٣٠١هـ / ١٨٨٣م) وهي قائمة الى اليوم تعمل بانتظام ..

اما الساعة الثانية وهي اكبر واضخم من الاولى فقد وضعت على الباب القبلي وقد اهدى هذه الساعة الحاج محمد مهدي الابوشهري الايراني بعد تشييد القاعدة الثانية والبرج وكان ذلك سنة (١٣٠٣هـ / ١٨٨٥م) .

وقد ارتبط تاريخ هاتين الساعتين بالمشروع الضخم لتجديد عمارة المشهد الكاظمي والذي تطوع على الانفاق عليه الامير (فرهاد ميرزا القاجاري) عم ناصر الدين شاه عام (١٣٠٠هـ / ١٨٨٢م) . وقد اوكل على ذلك اثنين من كبار تجار الكاظمية وهما الحاج عبدالهادي والحاج مهدي الاستربادیان للقيام بهذه المهمة واذن لهما التصرف المطلق والانفاق بالمبلغ غير المحدود ، فكان بدء العمل بالعمارة يوم (١٧ـذي القعدة ـ ١٢٩٦هـ/١٨٧٨م) والانتهاء منه بجميع ما فيه في (١٧ ـ ربيع الاول ـ ١٣٠١هـ/١٨٨٢م) واحتفل بهذه المناسبة لمدة ثلاثة ايام ، ويقال ان مجموع نفقات هذه العمارة بلغ مائتي الف ليرة عثمانية .. وقد اشتمل هذا التعمير على بناء مراديب منظمة لدفن الموتى في ساحة الصحن وايوانه وحجراته ، وتذهيب المنائر الاربع الكبرى من حد وقوف المؤذن الى قمتها . وتشييد سور مرتفع للصحن يتكون من طابقين بالآجر بعد ان كان من اللبن ، ثم تأسيس قاعدتين ضخمتين في سطح الطابق الثاني من الصحن فوق البابين الرئيسيين في جانبي الشرق والجنوب لتقوم عليهما ابراج الساعتين ، وقد استغرق هذا البناء الضخم اربع سنوات ، ومن ثم تم نصب الساعتين المذكورتين عليهما .

وقد امتازت الساعة التي نصبت على الباب القبلي بفخامتها اضافة الى قدمها وجمال برجها ؛ فكان بداخل البرج سلم خشبي ذو عشرين درجة . اما آلة الساعة فقد ركزت في الطبقة الثانية وهي ذات اربعة اوجه مدورة ، تدق الساعات والانصاف والارباع وتحتوي على جرس ومطرقة ضخمين .. وكان الصوت المنبعث منها عاليا جدا يصم الاذان فافرغت في الجرس كمية من الرصاص للتخفيف من حدة الصوت .. ويبلغ ارتفاع البرج اعتبارا من سطح الباب الى القمة ـ وهي على شكل خوذة ذهبية الطلاء ـ ستة عشر مترا ونصف المتر ، كما بلغ عرض الكتابة ثلاثة امتار ، وغرفة الآلة خمسة امتار .. وقد زاد في روعة منظرها ذلك الكاشاني الجميل النقش والزخرفة البديعة اللذان يكسوان جدرانها ..

ومن اهم المشاكل التي كانت تعترض الساعة انذاك انها حين تتوقف عن العمل ويعجز المصلحون المسلمون عن تصليحها يتحرج الوقف بدخول المصلحين لاجانب الى المشهد المقدس بدافع الاضطرار .. ومن طريف ما يروى عن تصليح هذه الساعة يوم توقفت ما تروبه السيدة « مدام ديولافوا » الاديبة والمؤرخة الفرنسية يوم زارت العراق برفقة زوجها المهندس « مارسل ديولافوا » ودونت مشاهداتها في رحلتها المشهورة سنة (١٨٨١م/١٢٩٩هـ) .. وفي رحلتها من بغداد الى الكاظمية بالكاري برفقة خادم القنصلية الفرنسية تذكر انهم تعرفوا في بغداد على مهندس فرنسي خبير في تصليح الساعات يعمل في بغداد ويدعى « المسيوموكل » فزودهم بتوضيحات كافية عن المشهد الكاظمي المقدس ، واعطاهم صورة موضحة للمقبرة بكافة مرافقها بعد ان نقلوا اليه تفاصيل سفرتهم غير الموفقة هذه ، وحدثوه بما راوه من صعوبات ومضايقات في زيارتهم لهذا المشهد ، ولم يستطع هو ايضا الدخول اليه في مبدا الامر لكونه نصرانيا ، لكن الساعة الكبيرة في الصحن توقف دقاقها الكبير في يوم من الايام وتعسر تصليحه فتبرع

هو لاصلاحه وتشغيل الساعة ؛ فحمل ادواته الهندسية ، وآلة التصوير الدقيقة في الوقت نفسه واستطاع ان يلتقط عدة صور من فوق السطح والبرج ومن الجوانب المختلفة . وتذكر السيدة مدام ديولافوا : ان الدليل خادم القنصلية الفرنسية وهو مسلم هندي وكان يلبس الطربوش ويجيد اللغة العربية المحلية ـ قد اكد انه لم يسبق لاحد الافرنج ان دخل هذا المشهد المقدس ابدا .. ! ! .

ساعة الحضرة الكيلانية (١٣١٦هـ / ١٨٩٨م)

وبعد بضع سنوات من نصب ساعة الكاظمين اهديت من المسلمين بالهند ساعة كبيرة ذات وجهين تدق الساعات وانصاف الساعات فقط الى الحضرة الكيلانية المقدسة في بغداد ، وفعلا تم نصبها في الحضرة المذكورة وكانت تعمل بانتظام حتى حلت محلها ساعة ضخمة اخرى ذات اربعة اوجه كبيرة وهي الساعة القائمة اليوم في صحن الحضرة الكيلانية ، ورفعت الساعة القديمة من محلها وقدمت هدية الى مديرية الاوقاف لتنصب في جامع الامام الاعظم في الاعظمية .. اما الساعة الجديدة فهي ذات اربعة اوجه مدورة كبيرة وتحتوي على ثلاثة اجراس احدها للساعات والاخر لنصف الساعات والثالث للارباع .. وقد تم صنع هذه الساعة الفخمة في معامل (بونه) الشهيرة في مدينة بومبي بالهند . وقد شيد لها المرحوم عبدالرحمن النقيب ، نقيب اشراف بغداد الاسبق المتوفى سنة ١٣٤٥هـ ، برجا عاليا يبلغ ارتفاعه (٣٠) مترا ؛ وكان الانتهاء من تشييده في سنة (١٣١٦هـ/١٨٩٨م) كما هو مدون على واجهة البرج الشمالية بالكاشاني الازرق البديع ، ونقشت طغراء السلطان عبدالحميد خان بالكاشاني الازرق ايضا وتحتها سنة ١٣١٧هـ على واجهته الغربية ، وثبت لوح من المرمر كتب عليه اطراء وثناء ودعاء للسلطان عبدالحميد الثاني على واجهته القبلية وكانت هذه الكتابات بخط السيد عبدالجبار آل خان زاده رئيس كتاب مديرية اوقاف بغداد سابقا والمتوفى سنة ١٣٣٤هـ . وكان البرج من صنع المعمار البغدادي الحاج اسطه درئي الذي حاكى في بنائه برج ساعة القشلة وكان لا يخلو من بعض الاضافات منها المحجران السفلي والعلوي فوق حجرة الساعة واللذان يحيطان بالبرج من جهاته الاربع ، ويرتقى الى الساعة من داخل البرج بسلالم خشبية .

وقد قام هذا البرج على قاعدة ارضية طول ضلعها للاسة امتار ونصف المتر ثم يرتفع البرج هرميا حتى يصل عرض ضلعه المترين ونصف المتر وهي شبيهة بساعة القشلة الشهيرة في كثير من الوجوه .. وتعترض هذه الساعة من المشاكل ما تعترض ساعة القشلة من مطر وغبار مما يستوجب مسحها وتنظيفها وطلاءها بالدهن باستمرار ويقوم بكل ذلك وعن توقيتها وضبطها ودامتها رجل في العقد السابع من العمر وهو من الهنود المسلمين الذين نذروا انفسهم لخدمة الحضرة الكيلانية المقدسة ويدعى هذا الرجل (غلام دستكير) الذي ظل يزاول خدمته هذه منذ اربعين سنة ونيف والى يومنا هذا ..

الساعة الاعظمية (١٣٥٠هـ / ١٩٣٠م)

يحق لكل عراقي ان يتيه فخرا واعتزازا بكل ما ابدعته اليد العراقية الماهرة في الحقل الصناعي على مر العصور ويزهو بنفسه على ذلك العطاء الثر الذي قدمه للانسانية ساهمة منه في كثير من مجالات الفكر والعلم والفن والصناعة . وقد اثبتت الايام بان كثيرا من القابليات والكفاءات ظلت فترة من الزمن مطوية في عراقنا الحبيب حتى اذا ما تهيأت لها الفرص المسعفة برزت للوجود فبرهنت للملأ على نبوغ العراقي وابداعه في جميع المجالات وكشفت عن قابلياته وجلت مواهبه ونهضت دليلا على ان النبوغ والابداع لا يختصان ببلد دون اخر وينفرد بهما شعب دون سائر الشعوب . وكان من هؤلاء النوابغ المبدعين الذين تهيأت لهم فرص العمل بعصامية فذة وبعقلية مبدعة متطورة المرحوم الحاج عبدالرزاق محسوب الاعظمي منشيء الساعة البغدادية المشهورة باسم « ساعة المعرض » او الساعة الاعظمية نسبة الى الامام الاعظم ابي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي ـ رحمه‌الله ـ .

وتبدا قصة هذا الصانع الموهوب مع الساعة الاعظمية في عام (١٣٣٧هـ/١٩١٩م) يوم اهديت الساعة الكبيرة ذات الوجهين والتي كانت منصوبة في الحضرة الكيلانية كما قدمنا الى جامع الامام الاعظم لتصليحها ونصبها فيه غير ان هذه الساعة كانت قديمة وقد تلف الكثير من اجزائها اثناء رفعها ، وقد طلب ناظر الاوقاف في حينه الى سلطات الاحتلال البريطاني ارسال خبير لتصليحها ، كما كتب الى الدوائر المختصة للقيام بذلك ؛ غير ان النتيجة كانت سلبية مما اضطر دائرة الاوقاف الى الاعلان عنها في جريدة العراق الصادرة في (١٧ شباط ١٩٢١) تطلب من بعض المتعهدين من ذوي الاختصاص في موضوع تصليح تلك الساعة مراجعتها

وكان ذلك الاعلان بتوقيع الحاج حمدي الاعظمي (العالم الفقيه والاستاذ في تدريس الشريعة الاسلامية في كليات بغداد ومؤسس المكتبة المعروفة باسمه والكائنة في محلة السفينة بالاعظمية) . وكان آنذاك مديراً للاوقاف ، فلم يلب الطلب احد .

وفي (١٩ آذار ١٩٢١) تقدم اليها الحاج عبد الرزاق محسوب الاعظمي متعهداً تصليحها ، فلما فحصها وجدها غير صالحة ، فراودته فكرة القيام بصنع ساعة مثلها ، فأعلن تعهده على انشاء ساعة جديدة بعد ان ذكر ان الساعة القديمة لا يمكن اصلاحها .. وقد وافقت مديرية الاوقاف على الطلب بتاريخ (٢٠ آذار ١٩٢١) وكتبت له بتاريخ ٢٤ منه بموافقتها على قيامه بصنع ساعة جديدة بدلا عن تلك الساعة التالفة .. وفي ٢٥ منه بدأ المشروع ينفذ في معمل محسوب في الاعظمية (ولا تزال بناية المعمل قائمة حتى اليوم في محلة الشيوخ قرب جامع ملا خطاب) ..

وكانت فكرة رائعة تحكمت في احاسيسه ومشاعره حتى اقفلت مضجعه في الليل واستنزفت الكثير من وقته في النهار ، فراح يرسم خطوطها الرئيسية منذ تلك اللحظة ودب نشاط غير اعتيادي في معمل السيد محسوب الذي راح يوزع الاعمال بين عماله باهتمام بالغ وجدية ملحوظة وفي ذهنه تصميم لصنع ساعة كبيرة مع هيكلها الخاص ذات اربعة اوجه بدلا من تلك الساعة ذات الوجهين ، وهكذا واصل السيد محسوب عمله المضني في صنع هذه الساعة بهمة لا تعرف الكلل والملل وبمساعدة ولديه السيدين محمد رشيد وعبدالهادي حتى افرغ في سبيل ذلك كل جهد وانفق كثيراً من المال فأتم صنعها بتاريخ (٢٨-١٢-١٩٢٩م/١٣٥٠هـ) وبعد الانتهاء من صنعها وتنظيمها واجراء بعض الفحوص والتجارب عليها امام جمهرة من اهل الخبرة وشاهدي العيان طلب من ادارة الاوقاف تسلمها هبة منه وبدون عوض بدلا من تلك الساعة التالفة لتقوم بنصبها في جامع الامام الاعظم متبرعا بها لوجه الله تعالى ، وطلب اليها القيام ببناء البرج المناسب لها وارفق طلبه بمخطط لذلك البرج . الا ان العقليات القاصرة وغير المدركة التي كانت تسيطر على شؤون الاوقاف حينذاك تشككت في صنعها فاخذت تماطل في ذلك . واخيراً رفضت تسلمها فاحتفظ بها واقام لها برجا حديديا في جانب من معمله الكائن في الاعظمية وقد تجاوزت آفاقه باصداء دقات تلك الساعة وهي تعلن عن الوقت بانتظام وتبارك جهود السيد محسوب وعمله المبدع في خدمة بلاده .. ومما هو جدير بالذكر ان جميع اجزاء هذه الساعة وآلاتها كانت عراقية الصنع مائة في المائة بحيث لم يستورد اي جزء لها من الخارج اذ قامت بصنعها وهندستها الايدي الفنية العراقية في معمل محسوب وباشرافه .

ولما اقيم المعرض الزراعي الصناعي في حدائق بباب المعظم في بغداد والذي افتتح في (٧ نيسان ـ ١٩٣٢م) في عهد الملك فيصل الاول ، نقلت اجزاء هذه الساعة الى حدائق المعرض في الفترة ما بين ١١-١٠-آذار-١٩٣٢) لتنتصب على ارضها ، فكانت هذه الساعة الشامخة ـ والتي فازت بحق وجدارة بالجائزة الاولى ـ من ابرز المعروضات واجدرها باهتمام الجمهور . واخيراً وبعد هذا الفوز الساحق على غيرها من المعروضات وافقت الاوقاف على تسلمها وتسلمتها بالفعل لا لتوضع في جامع الامام الاعظم وانما لتوضع رهن التوقيف والحجز في احد مخازنها فداهمها الصدأ وكادت ان تتلف لولا ان تداركها قرار مجلس الوزراء الصادر بعد ثورة تموز المجيدة عام ١٩٥٨م والقاضي بالافراج عنها ونصبها على برج يناسبها في جامع الامام الاعظم ..

بقيت الساعة تعمل بانتظام في حديقة المعرض حتى اواخر شباط من سنة ١٩٣٣ حيث طلبت السلطات المختصة من صاحبها رفعها من مكانها فاعيدت الى المعمل في الاعظمية .. وهناك وضعت الآتها بعد تفككها في صناديق انتظاراً لنصبها في جامع الامام الاعظم . وقد استمرت دائرة الاوقاف تماطل في بناء البرج متعللة بشتى المعاذير بالرغم من الحاح صاحبها الذي توفاه الله في (٧-١١-١٩٥٣) وفي نفسه حسرة لانه لم يشاهد ساعته فوق برجها الذي صممه وفقا لذلك حتى هيأ الله لها ان تنصب اخيراً في اواخر عام ١٩٥٨ في مكانها الحالي في ساحة جامع الامام الاعظم بجهود نجل صانعها الدكتور صالح عبدالرزاق (عضو محكمة تمييز العراق سابقا) وبمساعدة اخوته ..

ومن طريف ما يروى ان السيد فؤاد حفيد الحاج عبدالرزاق محسوب كان تلميذاً في مدرسة الاعظمية الثانية للبنين واحتاجت مدرسته الى جرس لتنبيه الطلاب الى مواعيد الدروس والفرص

فوعد التلميذ معلمه المرشد بتهيئة جرس للمدرسة المذكورة وفعلا بر التلميذ بوعده فجلب جرسا من اجزاء ساعة جده المفككة وكان بحجم جمع الكف ولما استعمل كان له رنين واضح يفوق حجمه بكثير وكانت تلك بداية معرفة تلاميذ مدرسة الاعظمية بتلك الساعة العربية ..

وبعد ثورة تموز ١٩٥٨ عهد الى وزارة الاسكان بناء الابواب الرئيسية وساج الجامع مع برج الساعة ، وبعد وضع التصاميم والخرائط بوشر بالعمل ونفذ بناء برج الساعة بالكونكريت المسلح وعلى شكل اسطواني وبارتفاع (٢٥) مترا ومحله قرب الباب الرئيسية من جهة الشرق ثم كسي البرج بالفسيفساء الايطالي ذي اللون الازرق والابيض ، كما بنيت الابواب على شكل اقواس ثلاثة بالكونكريت المسلح ايضا كما كسيت بنفس النوع من الفسيفساء . وبعد اكمال بناء البرج سنة (١٣٨١هـ / ١٩٥٨م) نصبت الساعة المذكورة اعلاه وهي قائمة تعمل بانتظام ودقة ..

وفي سنة ١٩٧٣م قامت الاوقاف باكساء البرج بصفائح من معدن الالمنيوم المضلع ذي اللون الذهبي فزاد ذلك من روعة منظره ..

اما عن وصف هذه الساعة : فقد بلغ ارتفاعها ثمانية اقدام ، وهي ذات وجوه اربعة مدورة ، وقطر كل منها متران ، وعلى كل وجه ثلاثة عقارب، اثنان منها يشيران الى الدقائق والساعات والثالث يشير الى الايام ، وصممت هذه الساعة على مبدأ الثقل حيث يتدلى منها ثلاثة اثقال تحرك ثلاث مكائن ويقع موقع الثقل الأول في الوسط وهو الذي ينظم حركة العقارب ، وموقع الثاني من الجهة اليمنى وهو الذي ينظم دقات ارباع الساعة ، وموقع الثالث في الجهة اليسرى وهو الذي يعلن بدقات قوية عن الوقت ، ويبلغ وزنها ثمانية اطنان من الحديد ..

وليس ادل على مبلغ ما استأثرت به هذه الساعة من اهتمام رواد المعرض الزراعي الصناعي عراقيين واجانب مما اورده (امين الريحاني) خطيب المعرض المذكور عند افتتاحه فقال يصف المشهد الرائع والحدث المهم في تاريخ النهضة العراقية : « .. وكان الناس محتشدين حول الساعة العظيمة ـ الاعظمية ـ التي صنعها احد ابناء البلدة المشرفة باسم الامام الاعظم وبحجرته لتعرض في معرض الزراعة والصناعة ببغداد . وكانت الساعة قائمة في باحة المعرض الكبرى فوق قاعدة عالية من الحديد ، وهي تردد نبأ الزمان ـ ايامه وساعاته ودقائقه ـ وتبشر العراق بعهد جديد . والناس متلهون ، والعيون منهم محدقة بهذا الاثر الصناعي العربي البغدادي الاعظمي ، وكلهم معجبون به ـ هذه الساعة مفخرة المعرض، والله بل مفخرة للعراق ـ ومن ذا الذي يقول ان العقل العربي عقيم لا يحسن الاختراع ـ انها بيت القصيد في هذا المعرض ـ وقد قال احدهم : قد يكون صانعها من سلالة ذلك العربي الذي صنع الساعة التي اهداها الخليفة هارون الرشيد الى عاهل الفرنجة الامبراطور شارلمان .

ترجمة الحاج عبدالرزاق محسوب

وجدير بنا هنا ان نتعرض لحياة الحاج محسوب ومواهبه وخبرته الفنية الصناعية في غير مجال عمل الساعات ونلقي بعض الضوء على فترة من فترات التاريخ مرت على عراقنا الحبيب من خلال حياة صانع الساعة الاعظمية :

ولد الحاج عبدالرزاق محسوب في بلدة الاعظمية يوم كانت قرية من قرى بغداد سنة ١٢٩٢هـ ، وقد دخل المدرسة الابتدائية ولم يتمها بعد ان تعلم مبادىء القراءة والكتابة فيها فتركها وانصرف ينمي رغبته الى تعلم احدى الحرف الصناعية فاختار حرفة النجارة فابدى فيها براعة متناهية ، وقد مارس هذه المهنة حتى اندلاع الحرب العالمية الاولى حيث ارسل كجندي اجباري مع القوات العثمانية لمحاربة الانكليز في جنوب العراق، واشترك في معركة « الحويزة » .. وعندما انتصر العثمانيون في هذه المعركة وغنموا من الانكليز مدفعين كانت القوات البريطانية قد جردت احدهما من جميع آلاته الدقيقة ومنها (القامة) ..

وبالنظر لعدم توفر الاسلحة الحديثة لدى القوات العثمانية فقد حاولت الاستفادة من هذا المدفع ولذلك عرضته على مهندسيها المختصين

بصناعة الاسلحة فقرروا عدم صلاحه وعدم امكان تصليحه لتعذر توفير الآلات المفقودة وعدم تمكن المعامل العثمانية من صنعها .

وقد دفعت الحمية الدينية المرحوم عبدالرزاق فطلب الى السلطات العسكرية قبول استعداده بصنع نواقص المدفع المذكور على مسؤوليته الخاصة واحتماله عقوبة الاعدام في حالة فشل المهمة ، وبعد مراجعات طويلة ومتعددة والحاح متزايد وافقت السلطة العسكرية على طلبه في تصليح الادوات المفقودة على ان يباشر عمله هذا في معمل (المباخانه) ببغداد ؛ وبعد عراقيل كثيرة وضعها في طريقه المهندسون ومدراء المعمل بدفعهم لذلك عامل الحسد والغيرة اتم بنجاح صنع جميع الآلات الناقصة في المدفع ، واجريت تجربته بنجاح قرب الاعظمية خلف تكنة الخيالة وبحضور القائد يوسف ضياء بك وغيره من كبار العسكريين وجمع غفير من الاهالي .. ومن اطرف ما يروى عنه : ان شركة انكليزية معينة :فتتحت لها فرعا في بغداد ابان الاحتلال الانكليزي وحصرت استيراد الادوات الحديدية والاحتياطية بها وراحت تفرض على سلعها اسعارا خيالية لا يقبلها العقل فكان الحاج عبدالرزاق محسوب يذهب لمقر الشركة ويتناول الاداة التي يحتاجها ويبدأ يتفحصها بدقة اثناء المساومة حتى يتأكد من شكلها وابعادها ومقاييسها ثم يقفل راجعا لمعمله لينتج اشباها لها يبيعها باثمان زهيدة حتى ضج منه مدير الشركة بعد أن علم بحاله فاصدر تعميما يقضي بمنع دخوله الى مقر الشركة .. هذا هو الصانع البغدادي الموهوب الحاج عبدالرزاق محسوب رحمه‌الله وجعل مثواه فسيح جناته .. ! ! .

ساعتا المحطة العالمية

وجدير بالذكر في معرض هذا البحث ان نذكر ساعتي محطة السكك العالمية وقد نصبت هاتان الساعتان على برجين شامخين يرتفعان على واجهة الباب الشرقي من ابواب هذه المحطة التي اكمل بناؤها عام ١٩٥٥ ، وما اروع وازهى منظر البرجين وهما يحتضنان القبة الزرقاء ذات الطابع الشرقي الاسلامي .. وقد علت كل برج منهما ساعة كبيرة ذات الوجه الواحد المدور ، فالساعة الجنوبية منهما تعنن عن الوقت بالتوقيت الغروبي (العربي) ، والساعة الشمالية تشير الى الزمن بالتوقيت الزوالي (الافرنجي) .

الساعات وامانة العاصمة

ان امانة العاصمة كدائرة من دوائر الدولة وجهاز حيوي انيطت به مسؤوليات جسيمة تتجلى بالخدمات الاجتماعية المتنوعة لسكان العاصمة وتحقيقا لشعار « من اجل بغداد اجمل » ادركت مهمانها وعملت وما تزال وبشكل مستمر من اجل اضفاء المسح الجمالية لوجه مدينة بغداد .. ومن هذه المهمات ادراكها لاهمية الوقت بالنسبة للمواطنين واعترافا منها بقيمته حيث اصبح ضبط الوقت حاجة اجتماعية عامة لذا اهتمت بتوفير امكانيات معرفة الوقت بنصب الساعات الزمنية الجدارية وساعات الزهور الناطقة والساعات البرجية ..

ساعات الزهور

وكانت ساعة الزهور التي نصبت في احدى ساحات متنزه الزوراء باكورة اعمالها في هذا المجال .. وبعد ذلك عممت الفكرة بشكل اوسع فنصبت ساعة زهور ثانية ذات الوجه الواحد في « متنزه الاعظمية » الكورنيش . وساعة ثالثة ذات الوجه الواحد ايضا في « ساحة النصر » في الكرادة الشرقية ، وساعة زهور ناطقة رابعة في « متنزهات شارع ابي نواس » مقابل مديرية الحفر والالات الزراعية ، كما نصبت ساعة زهور ذات الوجه الواحد في « ساحة الامام الجواد » المقابلة لمركز شباب الكاظمية، اما الساعة السادسة والاخيرة فهي ساعة زهور ناطقة ذات الوجهين نصبت في الساحة التي يلتقي عندها شارعا حيفا بموسى الكاظم في منطقة الجعيفر في الكرخ وهي « ساحة الشهيد حماد شهاب » .

اما الآن فقد رفعت من مكانها بعد ان عبثت بها يد الاطفال فخربتها وعطلتها عن العمل ..

والى جانب الساعات الزمنية الجدارية وساعات الزهور المناطقة ،قامت امانة العاصمة مجموعة من الساعات المتعددة الوجوه والمعلقة على ابراج ذات تصاميم متنوعة ومتعددة الاشكال . فقد نصبت ساعة برج ذات اربعة وجوه في «ساحة الشواف » في كرادة مريم في الكرخ .. وساعة برج ثانية في « ساحة يونس السبعاوي » ساحة الطيران سابقا وهي ذات وجهين احدهما باتجاه شارع بور سعيد والاخر باتجاه شارع بي تمام وهناك ساعة برج ثالثة ذات اربعة وجوه في «ساحة الفتح» مقابل متنزه الاوبرا في منطقة الكرادة الشرقية ؛ اما الساعة الرابعة فهي ذات وجهين نصبت في « المدخل الرئيسي لمتنزه الزوراء » .. والساعة الخامسة ذات الاربعة وجوه في « ساحة باب المعظم » . وقد رفعت الان بسبب مقتضيات تنظيم الشوارع المؤدية الى جسر ١٧ تموز في الباب المعظم على ان تعود في موقعها المناسب بعد اتمام العمل ..

وفي سنة ١٩٧٣ تم نصب ساعة برج الجامعة في « ساحة الحرية » على شارع الجامعة المؤدي الى رئاسة جامعة بغداد في منطقة الجادرية ، وهي ذات اربعة وجوه تقوم على برج يبلغ ارتفاعه خمسة امتار ويرتكز على قاعدة مساحتها حوالي المترين مربعين ؛ وتعلن الساعة عند الاشارة بثلاث لغات هي العربية والانكليزية والفرنسية . والساعة الاخيرة تم نصبها سنة ١٩٧٤ في الساحة التي يلتقي عندها شارع سعد بن ابي وقاص بشارع المثنى بن حارثة الشيباني في منطقة العلوية قرب مصلحة المجاري وهذه الساعة ذات الاربعة اوجه وتقوم على برج ذي شكل هندسي جميل ارتفاعه ستة امتار تحيط به ثلاثة احواض كونكريتية دائرية متباينة السعة والارتفاع لاستخدامها في زراعة بعض النباتات المناسبة .. كما قررت امانة العاصمة توسيع شبكة نصب الساعات ذات الابراج في مختلف انحاء بغداد وضمن حدودها وقد شرع العمل لاختيار الاماكن المهمة والمناسبة لذلك في مدينتي الثورة والشعلة وغيرهما من المدن والنواحي ..

وقد تم اخيرا نصب مثل هذه الساعات في « ساحة كمال جنبلاط » في الكرادة الشرقية ـ الزوية ـ واخرى في « ساحة جمال عبدالناصر » في الصالحية واخرى في « ساحة النهضة » على شارع الجمهورية ..

والجدير بالذكر ان جميع هذه الساعات تشغل وتدار بواسطة التيار الكهربائي ؛ ومن عيوب ذلك ،ن اصبح الخطأ مرضا مزمنا فيها وذلك يحصل بسبب انقطاع التيار الكهربائي عن بعضها فتتوقف عن العمل لحين عودة التيار الكهربائي اليها وحين يعود تكون الساعة قد اشارت الى الوقت بشكل خاطىء عن الوقت الصحيح مقدار الفترة الزمنية التي قطع فيها التيار عنها ؛ وتلافيا لمثل هذه الحالات وغيرها فقد خصصت امانة العاصمة كادرا متخصصا من العمال والمهندسين الكهربائيين لصيانة وادامة تلك الساعات والاشراف عليها بصورة مستمرة من حيث نصب وضبط وقت تلك الساعات واصلاحها في حالات الخلل الذي قد يطرا عليها . وهذه الكوادر المتخصصة لديها الاجهزة واللوازم الخاصة بذلك ؛ علما بان اصلاح الساعة لا يمكن ان يتم بشكل فوري بل يحتاج الى الوقت الذي يتم فيه التبليغ حيث تنقل فيه وحدة صيانة اليها لتقوم باصلاحها ..

وقد روعي في توزيع هذه الساعات المكان المناسب لنصبها وتحقيق اوسع خدمة للجمهور لذا فقد وضعت في التقاطعات المهمة وبعضها باربعة وجوه بينما البعض الاخر بوجهين او وجه واحد فقط .. اما ساعات الزهور الارضية فقد اختير لنصبها بعض الساحات المهمة تحقيقا لغرضين في آن واحد : اضفاء مسحة جمالية على المدينة وضبط الوقت فيها .

ان الاهتمام بتوفير هذا العدد من اجهزة التوقيت في الشوارع والساحات العامة والمتنزهات يدلل بوضوح على تزايد الادراك بقيمة الوقت في حياة الشعوب المتطلعة الى حياة افضل .. وان فكرة تعميم هذه الساعات وهذا الاهتمام بالوقت جاء في وقت متاخر من قبل المسؤولين في امانة العاصمة حيث كانت البداية في نصب الساعات المذكورة آنفا في سنة ١٩٦٨ وما زالت الجهود متظافرة لتعميمها على المناطق المهمة في مدينة بغداد وضواحيها ..

مراجع البحث

١ ـ ارشيف امانة العاصمة .

٢ ـ البار الاشهب ـ ابراهيم الدروبي .

٣ ـ بغداد القديمة ـ عبدالكريم العلاف .

٤ ـ تاريخ المشهد الكاظمي ـ الشيخ محمد حسن ال ياسين.

٥ ـ جامع الامام الاعظم ـ الشيخ هاشم الاعظمي .

٦ ـ رحلات الى العراق ـ سرواليس بج ، ترجمة فؤاد جميل .

٧ ـ رحلة مدام ديولافوا ـ ترجمة ونشر علي البدري .

٨ ـ فيصل الاول ـ امين الريحاني .

٩ ـ قصة الوقت ـ ناجي جواد الساعاتي .

١٠ـ مجلة امانة العاصمة ـ العدد (١٤) تحقيق عن بناية القشلة ، عادل المرداوي .

١١ ـ مجلة امانة العاصمة ـ العددان ، ١٦و١٧ ، الساعات البغدادية ذات الابراج ، صادق الجبيلي .

١٢ ـ مشاهدات ومقابلات شخصية .

١٣ ـ موسوعة النبات المقدسة ، الجزء الاول ، ـ ترجمة جعفر الخياط .

١٤ ـ جريدة الجمهورية البغدادية ـ عدد يوم الجمعة في ٢١ـ٣ـ١٩٧٢ . والعدد الصادر في ٢٠ـ١ـ١٩٧٣ .

١٥ ـ تاريخ العصور القديمة ـ للعصف الاول المتوسط الطبعة الثانية سنة ١٩٧١ .

١٦ ـ مجلة افاق عربية ـ السنة الرابعة عشر ـ العدد الثاني ١٩٧٨ العدد / ٢ بحث للدكتور محمد صديق الجنابي عن (المزولة) .

١٧ ـ خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك ـ عبد الرحمن سبط الاربلي المتوفى سنة ٧١٧هـ ـ طبع مكتبة المثنى ـ سيرة المستنصر بالله العباسي .

١٨ ـ مجلة اهل النقط ـ ، العدد ٧٥ ، السنة السابعة كانون الثاني ١٩٥٨ . مقال بقلم الدكتور مصطفى جواد بعنوان « الساعات العربية الروحانية » .

١٩ ـ مجلة لغة العرب ـ المجلد الثاني ـ صحيفة (٢٨) .

٢٠ ـ مجلة سومر ـ بحث عن المدرسة المستنصرية بقلم الاستاذ كوركيس عواد ـ السنة الاولى، الجزء الاول، والجزء الاول والثاني للمجلد الثالث عشر .

٢١ ـ الحوادث الجامعة ـ لابن الفوطي تحقيق الدكتور مصطفى جواد .

٢٢ ـ تكملة اكمال الاكمال ـ جمال الدين بن الصابوني ـ طبعة المجمع العلمي العراقي .

٢٣ ـ نشرة مصلحة نقل الركاب ـ ، العدد ١٥٨ ، كانون الثاني ١٩٦٥ . من موضوع تحت عنوان « ساعة عربية تتحدى الزمن » للسيد طارق عيسى حسن .

٢٤ ـ رحلة ابن جبير .

٢٥ ـ دليل خارطة بغداد قديما وحديثا ـ الدكتور مصطفى جواد والدكتور احمد سوسة .

٢٦ ـ مجلة الوعي الاسلامي الكويتية ـ العدد السابع والثلاثون ـ السنة الرابعة : غرة محرم ١٣٨٨هـ/مارس ١٩٦٨م ، ص ٩٥ ..

WWW.ATTAWEEL.COM

— ٢ —

مذكرات بغدادي

من دفتر مذكرات المرحوم محمد رؤوف السعودي
(ابو عطوف) كتبها في عام ١٩٦٩م ...

اطلعني الاستاذ يحيى السعودي على سجل كتب بخط اخيه المرحوم محمد رؤوف السعودي يتضمن مجموعة خواطر ومقتبسات في شتى الموضوعات .. ووصف شيق لبعض محال رصافة بغداد وتدوين صادق لبعض المشاهدات التي بقيت عالقة في الذاكرة عن بغداد الامس القريب .. فاجاز لي نشرها بعد تهذيبها وتصحيح الاخطاء النحوية فيها ..

★ ★ ★

ترجمة كاتب المذكرات

هو محمد رؤوف السعودي ويكنى بابي عطوف .. وابو عطوف هذا رجل عركته الحياة واكسبته خبرة وتجربة ، عاش حياته بعصامية فذة واجتازها بسلام ولم يترك لاسرته من متاع او نشب وانما ترك لها دفتر مذكراته وهو مشحون بشتى الموضوعات الاجتماعية والفلسفية والتاريخية والدينية ، كما دون فيه وصفا دقيقا لبغداد القديمة وما جرى فيها من احداث عاصرها وشاهدها بنفسه وكتب فيها باسلوبه الشيق الجذاب .. يسرد فيه القصص والحوادث التي لم يسمعها او يقراها المواطن في مكان اخر ، انها جلاء للغامض والمجهول من تلك الفترة التي عاشها .. ونظرا لاهميتها آثرنا ان نجتزىء من هذه المواضيع ما يختص ببغداد واحداثها وشخصياتها ونشرها على صفحات هذه المجلة علها تعطي الصورة الحقيقية عن بغداد ايام زمان والتي يجهلها الكثير من اهل بغداد اليوم بعد ان طرا على هذه المدينة العريقة من تغيير وعمران كبيرين ..

ولد ابو عطوف في بغداد سنة ١٨٩٣ وعاش فيها ولم يدرس بمدرسة ولم يتخرج في معهد بل كانت مدرسته الحياة كلها ، اخذ عنها الكثير وكتب فيها .. كانت مهنته حياكة الازر ويزاولها في معمل والده علوان في محلة « صبابيغ الآل »(١) في رصافة بغداد .. ولما ذهب الزمان بهذه المهنة بزوال لبس الازر « والازر لباس خاص بالمراة المسيحية في بغداد يقوم مقام العباءة تلبسه المراة ايام الاعياد والاعراس» كسدت هذه الصناعة وهجرها اهلها ومنهم ابو عطوف .. وفي سنة ١٩٢١م استطاع ان يستاجر الحانوت العائد لدائرة البرق المركزي في محلة السنك بالباب الشرقي ويعمل فيه بتواضع بقية حياته التي امتدت الى اوائل السبعينات حتى توفاه الله في بغداد في ٦-٥-١٩٧١ ..

قصة السبع ابكار وتحديد مركز الرصافة

في بغداد محلة كبيرة قديمة تدعى (محلة السبع ابكار)(٢) في جانب الرصافة .. وقصة السبع ابكار وتسميتها كما سمعتها وشاهدتها بعيني في طفولتي سنة ١٩٠٤ .. كانت هناك قطعة من الارض تشرف على دجلة وتظللها بضعة شجيرات باسقات سامقات ترتفع عاليا مما يدل على قدمها منها شجرة النبق (السدر) ومنها شجرة التكي (التوت) ومنها شجرة التين ومن بينها شجرة واحدة هي (الصفصاف) .. وكانت تقدر مساحة هذه العرصة زهاء الالف والخمسمائة مترا مربعا وبنيت امامها على الشط مسناة على عرض ارضها سميكة وواسعة وقوية وعميقة الغور اتخذت بئرا ، ولها فتحات بعمق اربعة امتار متصلة بنهر دجلة الى داخل البئر ، ونصبت على حافة البئر سبع بكرات من جهتها العليا لجلب الماء من النهر الى البئر اولا بواسطة الادلاء جمع دلو وسوقه وتوزيعه بواسطة السواقي الى المسافات البعيدة

WWW.ATTAWEEL.COM

في الحدائق والبساتين القريبة من النهر وخزانات المياضيء ـ اي احواض الوضوء في الجوامع والمساجد والتكايا ـ وتوفير المياه الصالحة لها ، وهذه الادلاء مصنوعة من جلود الجاموس المدبغة السميكة والقوية والتي تربط وتدلى من اللولب الكبير الحجم الى عمق البئر تسحبه احدى الدواب فتنزل في مدرج او منحدر حتى يلامس الدلو سطح الماء ثم يغمر فيه ويمتلىء الدلو بالماء ثم يسحب الى الاعلى ويسكب الماء في حوض واسع باعلى حافة البئر لتوزيعه الى الجهة المراد توجيهه اليها ثم تكرر عملية الصعود والنزول في هذا المنحدر الواسع الذي يستوعب الحيوانات السبع التي تتناوب الصعود والهبوط جملة او فرادى حتى تسقى الحدائق والبساتين وتزود الجوامع والقصور بالماء الكافي ويخزن بعضه بالاحواض والمياضيء .. وكان موقع هذه (السبع ابكار) وبئرها الكبير الواسع : البناية المتخذة اليوم (نادي نواب الضباط العسكري) والبناية المجاورة لها والتي هي (فندق جبهة النهر) عند مدخل جسر الاحرار من جانب الرصافة والتي كانت تسمى في العهد العثماني بـ (شريعة بيت الباچه‌جي) الذين كانت بيوتهم وقصورهم تحيط بمداخل ومنافذ هذه الشريعة وتكتنفها من كل الجهات ..

اول اسالة ماء بدائية في بغداد بواسطة (الكرد)[٣] والاماكن السبعة التي تستفيد من مياه السبع ابكار

وكانت هذه السبع ابكار تسقي وتوفر الماء لسبعة اماكن او اكثر على طريقة السقي والارواء القديمة حيث لم يكن هناك آلة ولا ساحبة ولا آلة ماصة ولا دافعة ولا ضاغطة بخارية او ميكانيكية غير بئر (الجرد) حتى ولا اسالة مطلقا كما نعرفها الآن من السهولة واليسر بفضل التكنيك والآلات التي اخترعها واوجدها العقل البشري في كل مجالات الحياة الانسانية .. وهناك وسائط اخرى لجلب الماء وتوفيره في البيوت وذلك بواسطة الادلاء من البئر المالحة والموجودة في كل بيت من البيوت البغدادية او بواسطة السقائين الذين يجلبون الماء من النهر مباشرة في قرب من الجلد محملة على ظهور الدواب للشرب والغسيل والطبخ او يجلب الماء من السواقي التي يجري فيها الماء بواسطة الكرد او الناعور من نهر دجلة ان وجد بالقرب منها .. وكانت سواقي السبع ابكار تسقي وتمون وتوزع المياه الى الاماكن التالية :

اولا ـ دور ومنازل وقصور آل الباچه‌جي القريبة منها مع حدائقها .

ثانيا ـ حديقة دار القنصلية الروسية (القيصرية) والتي هي اليوم مجموعة المباني والمخازن والعمارات التي تحيط بكازينو شط العرب .. وقد اتخذت دار القنصلية هذه فيما بعد فندقا كان يسمى منذ عهد الاحتلال الانجليزي لمدينة بغداد بـ (اوتيل مود) الذي نقل فيما بعد الى البناية الفخمة على دجلة في محلة السنك والذي هو اليوم (فندق السندباد) .. ويدخل ضمن هذه المجموعة المذكورة ايضا ميضاة مسجد آل الباچه‌جي[٤] وحوضه الكبير والذي ما زال موجودا يصلى به حتى الآن ويقع اليوم في الشارع الفرعي الذي يصل بين شارع الرشيد وشارع النهر وعند مدخله من جهة الرشيد استوديو المصور ارشاك .

ثالثا ـ تم توصيل الماء الى تكية سيدي البدوي[٥] ومسجده وحديقته الغناء الواسعة والتي كانت تتوسط شارع الرشيد ثم بناية شركة (اسطيفن لنج)[٦] على شارع النهر في راس القرية[٧] .. ولكن عندما فتح خليل باشا[٨] جادة بغداد (جاده سي) من الباب الشمالي (باب المعظم) الى الباب الشرقي منها[٩] ذهب معظم هذه التكية ومسجدها وحديقتها ضمن الجادة المذكورة وذلك سنة ١٩١٥م ولم يبق منها اليوم الا هذه العمارة المسماة « عمارة السيد البدوي » وقبة وضريح الصقنا ببناية العمارة ، والضريح هو لاحد اولياء الطريقة البدوية في بغداد والذي اكتشف في اوائل الستينات باسم الولي (ابو شيبة) .

رابعا ـ وكانت تسقي ايضا دار القاصد الرسولي الذي موضعه الان مقر شركة (حافظ القاضي) ويضمنها حديقتها المقابلة لها والتي هي الان مجموعة المباني والمخازن والفنادق ودور السكن وعيادات الاطباء والصيادلة ومحال الاعمال والمتاجر ضمن نصف الدائرة المحيطة من شارع الرشيد الى نفاذ شركة حافظ القاضي قبالة جسر الاحرار المؤدي الى ساحة الوثبة بالتقائه بشارع الرشيد شمالا ويتبعها سينما الرشيد وسينما الوطني وما حولهما من المتاجر والمخازن ودور الاعمال وما حولها من دكاكين البقالة واصحاب المهن من محال ومطاعم وما يعلوها من فنادق ومكاتب وشقق ودور سكن الى غير ذلك مما يرى ويشاهد وكلها كانت حديقة كبيرة وواسعة جدا يحوطها سور عال من الطين زرعت بانواع الفاكهة والحمضيات على اختلاف انواعها وتعلوها النخيل الباسقة ودوالي الاعناب وقد تمددت وانتشرت فوق الفسقيات والشدروانات المظللة بعناقيد الاعناب على اختلاف طعومها واشكالها

وحجومها .. وكانت من موقوفيات السيد عيسى ابن السيد مصطفى بن السيد محمد الشهير بالعطار البغدادي[١٠] وقد جاء شارع الرشيد فشطرها الى قسمين شرقي وغربي وذلك سنة ١٩١٦م ..

خامسا ـ تسقي هذه السبع ابكار بستان (عدول) التي هي اليوم الشارع المسمى بـ (شارع عرصات النعمان) الواقع بين (عقد الجاموس) وبين مصلحة توليد القوة الكهربائية القديمة (العباخانة)[١١] حتى جامع الحاج فتحي[١٢] في العوينة على شارع الجمهورية اليوم ، وكانت هذه بستانا كبيرة تتفرع منها ساقية يدخل اليها الماء الى تكية ومسجد الامام عبدالكريم الجيلي[١٣] احد ائمة الصوفية والذي ذكره كثيرا المرحوم الدكتور زكي مبارك في كتابه «التصوف الاسلامي » .. وكانت له باب يقع مدخلها من (عقد الجاموس) قرب حمام تاجة من محلة الحاج فتحي وله حديقة كبيرة ذات نخيل واشجار يانعة مثمرة .

سادسا ـ وتتشعب من هذه السبع ابكار ساقية سادسة لارواء وسقي جامع السيد سلطان علي[١٤] وحديقته الواسعة وتسقي بجواره ايضا مرقد احد السادة العلوية الذي موضعه اليوم وسط شارع الرشيد ، ومسجده الذي خربه خليل باشا عند فتحه جادة (خليل باشا جادة سي) كما كتبت قطعة مربعة تحت الجدار مما يلي قاعدة المنارة القديمة من جامع السيد سلطان علي بقدر متر ونصف المتر من القاشاني الملون خط فيها بخط فارسي (خليل باشا جادة سي) وفي اوائل العهد الملكي ازيلت هذه القطعة وجددت عمارة المسجد وكتبت على لوح معدني بدلها عبارة (شارع الرشيد) واما ما بقي من حديقة وبستان نخيلة فقد شيدت فوق ارضها العمارات والفنادق والمتاجر الكبرى المهمة ومخازن وشركات عالمية اشهرها شركة بانا للاحذية الجلدية ، وسينما الشعب حتى ملتقى محلة الربعة واول واكبر محل تجاري شيد على ارض هذه البستان هو (بناية شركة سيارات فورد) ومخازنها ومحلات تجارية ومعارض سياراتها ومكاتبها ووكلاؤها ومحلات لبيع المحركات والمكائن الزراعية والصناعية وتجار الجملة والمفرد وغيرها من الاماكن المحيطة بجامع السيد سلطان علي ..

سابعا ـ وهناك تختم السبع ابكار عملية توزيع المياه بالساقية التي تروي دار (آل الاصفر) وحديقتهم المشرفة على النهر والتي هي ملاصقة لدار القنصلية الروسية في العهد العثماني الحميدي (وعائلة بيت اصفر هي من العوائل العراقية التجارية التي توكلت في بغداد منذ قرنين فاكثر لعدة شركات انكليزية واوربية وكانت لها اليد الطولى في ارتباط الوثائق والتعهدات التجارية ليس في بغداد والعراق فحسب بل في جميع انحاء الامبراطورية العثمانية في الصادرات والاستيرادات والاسواق التجارية والمالية والبورصة والمصارف والبنوك) . ومن جوار حديقة بيت اصفر تجتاز عبر الحائط ساقية خاصة لارواء مسجد وتكية وحديقة وميضاة آل (قره علي) وكانت تقوم على قطعة ارض واسعة وقد اتخذتها شركة (اورزدي باك) قبل اكثر من عشرين سنة (اي في الخمسينات) وقد امتها اليوم الحكومة وسمتها شركة الاسواق والمخازن التجارية العراقية وهي المركز الرئيسي في بغداد ..

هذه هي قصة السبع ابكار كما اوردناها هنا.. وقد اشترت عائلة الباجه جي العرصة التي كانت تقوم عليها السبع ابكار وضمتها الى ممتلكاتها عند نهاية العهد من القرن التاسع عشر .. وبعد انتهاء الحرب العالمية الاولى شيدت على ساحتها القصور والفنادق كما اخذ اصحاب الكرود المحتاجة الى الماء بنصبها في غير هذا المكان من بغداد ومن هذا التاريخ اهملت واندرست معالمها ثم قضت على البقية الباقية منها مكائن اسالة الماء الحديثة التي عمت كل محلات بغداد منذ سنة ١٩٠٨م ..

● مدحت باشا واصلاحاته الادارية في بغداد

وقد اشتهرت المنطقة باسم (السبع ابكار) في زمن الوالي المصلح المجدد (مدحت باشا) الذي وضع مجالس الولايات ومجالس البلديات والمجالس الخاصة بالمتصرفيات ، وقسم بغداد الى محلات واطراف وجعل لكل محلة اسما وعين لها مختارا ومعاون مختار ، ورقم ابواب الدور وغير ذلك من الاصلاحات البلدية من توسيع الادارة وتشكيل المحاكم واصلاح السجون وتوسيع المعامل الميكانيكية

اما فيما يخص بحثنا الان من توزيع البلدية الى محلات فقد عرفت هذه المنطقة بالسبع ابكار من قديم واضيف اليها فيما بعد سكنة محلة العمار والجنابيين وهما من قبيلة (زبيد) اللتان حلتا في بغداد قبل قرون كما حلت اخواتها بقربها (العاجليين) وهم من بني عجيل وبني سويدان وبني سعيد وغيرها من قبيلة زبيد التي تقطن في المحلات التي اشتهرت باسم قبائلها في بغداد لحد الآن قبل زمن داود باشا والي بغداد اي قبل اكثر من ثلاثة قرون مضت ! ! .. وكما قلنا ان المنطقة غلبت عليها لفظة

(سبع ابكار) ونتيجة للزيادة والتوسيع البلدي (عمّار جنابيين) فصارت كلمة (عمار سبع ابكار) هي الغالبة اليوم ، اما (الجنابيين) فبقيت ملحقة بزقاق الجنابيين في راس القرية ..

● سبع ابكار الصليخ او كرود خليل باشا

وهناك سبع ابكار اخرى شمالي بغداد في منطقة الصليخ في قضاء الاعظمية وقصتها :

في اواخر سنة (١٩١٥م) عينت آمرية القيادة التركية في العراق القائد التركي (خليل باشا) ولما وصل هذا القائد الشاب بغداد ، هيأت له الحكومة مسكنا وقصرا منيفا فخما جوار بستان ومزرعة كانت تسقى وتروى من بئر عليها (سبع ابكار) في شمالي الصليخ .. ثم ابدلت السقاية والارواء بالمكائن الزراعية واسالة الماء الحديثة وهدمت السبع ابكار ، ولكن المنطقة بقيت تسمى بـ (السبع ابكار) ولاجل الفارق والتمييز بين سبع ابكار العمار في بغداد وسبع ابكار الصليخ ان اطلق على هذه الاخيرة سبع ابكار خليل باشا او كرود خليل باشا حتى يومنا هذا ..

الست سكينة حسن المصرية في بغداد
وصف لمدينة بغداد سنة ١٩٠٦

كانت بغداد عند اعلان الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٤ حتى نهاية سنة ١٩١٥ كما شاهدتها وانا صبي يافع لم اتجاوز السن الثانية عشرة من عمري ليس فيها شوارع كالتي نراها اليوم طويلة ومستقيمة تخترقها من الشمال الى الجنوب .. ولكن كان فيها عندما ندخلها من الباب الجنوبي الذي نسميه (الباب الشرقي) حسب الاصطلاح البغدادي(١٥) وبعد ان تترك خلفك المعمل الحكومي المسمى (الدباغ خانة) وهو اخر ما بقي من سور بغداد الذي شيده ابو جعفر المنصور سنة ١٥٠هـ(١٦) واتخذه الوالي مدحت باشا معملا لدباغة الجلود الخاص بصنع احذية الجنود وحقائبهم واحتياجاتهم ولوازمهم الحربية الاخرى من هذه الجلود وهو من جملة اصلاحاته المهمة في بغداد سنة ١٨٦٩ واليوم لم يبق اي اثر من ذلك المعمل ببنائه العباسي وقاعاته وعمده وعقاداته وعرض اسسه التي تبلغ في بعض قلاعه وركائزه حوالي العشرة امتار حيث هدم هذا المعمل واسس في موقعه محطة نقل الركاب الذي يمتد من ساحة التحرير عند مدخل شارع الجمهورية حتى نهر دجلة في ساحله الذي كنا نسميه بشريعة (القوله) والذي هو الان مدارج جسر الجمهورية عندما يعلو فوق شارع الرشيد ويلتقي بشارع ابي نواس المشرف على نهر دجلة من جانب الرصافة في الباب الشرقي ..

وكان طول مدينة بغداد من جهة جانب الرصافة من شريعة القوله (بتفخيم اللام) ومن باب الدباغ خانه في الباب الشرقي حتى منتهاها في الباب الشمالي الذي هو باب المعظم ، وكما نسميه نحن بالباب الغربي .. وعلى هذا الاساس تقدر مساحة جانب الرصافة بثلاثة كيلو مترات طولا في زهاء الكيلو مترين عرضا ؛ وبقدر نفوس مدينة بغداد آنذاك بجانبيها بربع مليون نسمة ، وليس في مدينة بغداد كما شاهدتها من وسائط النقل الحديثة الا عدة عربات فخمة(١٧) تجرها الخيول الاصيلة والجياد المطهمة احداها خاصة بالوالي العثماني واخرى للسيد نقيب اشراف بغداد من اسرة آل الكيلاني والتي يجرها حصان واحد ، وثالثها وكنت اراها افخم العربات من حيث اناقتها وما فيها من ابهة ومهارة في الصنع حيث رصعت بالمسامير الدقيقة المصنوعة من الذهب والفضة والظاهرة على فوانيسها وطاقم سيور عدتها ولجام حصانيها الجميلين الاصيلين ، وكانت هذه العربة خاصة بالسيد داود نجل السيد سلمان نقيب اشراف بغداد وهو عم السيد عبدالرحمن النقيب على بغداد عصرئذ ! ! وهناك عربة رابعة تخص المرحوم العلامة عبدالوهاب الثائب ، وما عدا هذه العربات كانت وسائط نقل الركاب كافة من الحمير والخيل الكدش والبغال في داخل البلد .. والسفينة والمهابيل الشراعية للمسافات البعيدة بين المدن والقصبات في نهري دجلة والفرات خارج مدينة بغداد .. اما في داخلها من وسائط النقل النهري الزوارق (البلام) جمع البلم (والبَلَم تركية الاصل دخلت في انعامية البغدادية وتعني الزورق) والتي تجذف باليد ، والقفف الكبيرة والصغيرة و (الشخاتير) والرمث (الكلك) .. اما (البواخر) وهي الزوارق البخارية فكانت تحمل البضائع التجارية والمسافرين والتي تمخر عباب دجلة (دون الفرات) بين بغداد والكوت والعمارة والبصرة ..

اما البضائع التجارية التي تجلب من انحاء اسيا واوربا وبلدان الغرب الاخرى فكانت تحمل بواسطة البواخر التجارية الكبرى والتي تمتلكها شركتان تجاريتان اجنبيتان ، الاولى تخص بيت اسطيفان انج المحدودة والثانية شركة (يلوكي كرى

وشركاه ، وكلا الشركتين مؤسستان في لندن وهما من الشركات البريطانية العاملة في العراق ، وكانت بواخرها لا تتجاوز العشر بواخر ..

ولما اعلنت تركيا الحرب ضد الحلفاء وانضمت الى جانب الالمان اخرجت رعايا الدول التي كانت تشكل تضامنا وهو ما يسمى بالحلفاء من كافة الامبراطورية العثمانية ووضعت يدها على ممتلكاتها وبالاخص الممتلكات الانكليزية والفرنسية وغيرهما من دول الحلفاء ، ومنها البواخر التي كانت تعود الى بيت اللنج ويلوكي كرى واستعملتها لاغراض الدولة الحربية والعسكرية وكان في بغداد جسر واحد نقلته الدولة الى الجهات الجنوبية بين الصويرة والكوت .. وظلت بغداد بلا جسر حتى سنة ١٩١٨ وكان يتم العبور بين جانبي بغداد الكرخ والرصافة بواسطة (البلام والقفف) ما يقارب الثلاث سنوات ! ! ..

وكان في بغداد عشرات الطرق والدروب الضيقة والعقود والاطراف والمحلات التي تخترقها طولا من جنوبها الى شمالها بباب المعظم ، وكذلك مئات الدروب التي تتفرع من طولها عرضا والتي تصل بعضها بالبعض بطريقة حلزونية متداخلة متلازمة لا تنفك ولا تنفذ الى غيرها وكان شبكة هذه الطرق الخلية المحكمة الصنع .. وكانت هذه الطرق والدرابين تضم في منعطفاتها المئة دار او اقل او اكثر .. ومن هذه الطرق الزقاق الصغير (الدربونة) تصغير وتانيث الدرب الذي جمعه الدروب او الدربونات وتضم مجموعة من الدور المتلاصقة والصغيرة والتي تعد بالعشرات حتى تصل المئة دار ومن عدة درابين تتكون المحلة الواحدة والتي يقطنها غالبا ابناء العشيرة الواحدة وتسمى المحلة باسمها ...

اما الشوارع والازقة التي تنفذ اليها في جميع مناطق بغداد فلم يكن لها اسماء خاصة بها بل تسمى وتعرف باسمائها الشعبية المعروفة او تسمى باسماء المحلات والاطراف التي تقع فيها او تسمى باسماء الاسواق او اسماء ذوي المهن والحرف واماكن الاخذ والعطاء والبيع والشراء او باسماء ابرز معلم اثري اشتهرت به المحلة ..

فمثلا عندما تصل محلة (الفناهرة) من شارع الدباغخانة وهي اول حي من احياء بغداد عند مدخلك من الباب الشرقي وتتوغل في محلة السنك تتشعب امامك عدة طرق ودروب وازقة ضيقة كما وصفناها تتقدت عليك مداخلها ومخارجها فاذا وجدت نفسك في شارع الشيخ عبدالقادر الكيلاني وانت خارج من فسحة جامع الشيخ الخلاني المتصل به من محلة الساقية ، فمن هذا الشارع العرضي تتفرع كل مداخل الطرق والمحلات الطولية لمدينة بغداد وكلها تصلك الى مجمعها الرئيسي في الباب المعظم .. وكان شارع الكيلاني العرضي يبتدىء من شريعة بيت النقيب على نهر دجلة في السنك ويمتد حتى يصلك بجامع الحضرة الكيلانية فمقبرة الشيخ الغزالي وهذا الشارع ما زال قائما ..

والان نقف برهة عند الباب الشمالي من صحن جامع الحضرة الكيلانية المقدسة لنطل على ذلك المشهد الرائع حيث جموع النسوة والبنين والبنات والعجائز والشيوخ والاطفال وكلهم تجمهروا بحفل كبير يتطلعون الى تلك اللحظات التي تخرج فيها عليهم الملاية والقارئة المصرية الست سكينة حسن حديث الساعة في بغداد ، وقد ضاق المكان بتلك الحشود من الناس على سعة تلك الساحة الفسيحة الواسعة امام مخفر شرطة باب الشيخ قبالة الحضرة الكيلانية والذي كان يسمونه اهل بغداد بـ (القلاغ) وهي كلمة تركية والتي تجمهروا فيها ، ولم تبدر اية بادرة من رجال (الضابطية) الجندرمة فتقوم بتفريقهم او التدخل في شؤونهم .. وكانت الست سكينة قد اتخذت من احدى الغرف والاواوين في صحن جامع الشيخ عبدالقادر الكيلاني منتجعا لها ومقر سكناها حيث حلت في الجامع المذكور من بضعة اشهر ، وقد اعتادت ان تخرج منه الساعة التاسعة صباحا وتعود اليه الساعة الرابعة مساء تجوب ارجاء بغداد واسواقها تنشد القصائد الدينية والمدائح النبوية بصوتها الساحر الاخاذ فتنهال عليها عبات المحسنين من اهل الخير والجود ..

وقد اذنت ساعة الخروج فطلعت الست على عادتها فاستقبلتها الجموع الحاشدة بالهتافات والصلوات والتكبير والتهليل ، وتهاوت عليها النسوة والبنات والفتيات والصبيان يقبلون يديها ووجهها وراسها ويتمسحون بثيابها تبركا بها وقد احاطوها بهالة من حب وتقدير واحترام .. فنظرت اليها فاذا هي امراة في سن الشباب لم تتجاوز الثلاثين من عمرها ، ربعة القامة معتدلة الجسم ، سمراء ادمة الوجه على وجهها سمة البداوة واصالة العرب ، اغمض الله جفنيها واخذ منها نور عينيها. وبدت لنا غير مبصرة ولا ناظرة (عمياء) .. وتقدم نحوها رجل بربو عمره على الاربعين فوقف امامها فرفعت يدها اليمنى فوق كتفه وسار بها يهديها السبيل لتمضي ببطء ثقيل تشق زحام الناس

وتبعتها الحشود تتخاطف امامها وعن ميمنها وعن ميسرها ومن خلفها كموج البحار يتدافع ويتراطم مع بعضه ، والعم المغربي الدليل كما عرفناه يسير الهوينا وهو متأزر وملتف بعباءته السعدونية (تخته وتخته) اي تخته بيضاء وتخته سمراء وبرنية وعلى راسه عمة بيضاء بحجم العمامة المصرية ، يمشي وقد الف الصمت والسكون وكان على راسه الطير ، وكانه اخرس ابكم لا يكلم ولا يتكلم واتجه الموكب كعادته تسوده السكينة والمهابة من محلة باب الشيخ نحو ازقة بغداد ومحالها واسواقها تنشد للناس وتمتعهم بصوتها الساحر وتستيقظ بغداد كل يوم على انغام انشادها ومدائحها النبوية فتحيي القلوب بذكر الله .. واتجه الموكب من محلة باب الشيخ الى سوق الصدرية ، ثم وقف الموكب الفخم عند باب جامع الشيخ سراج الدين في محلة الصدرية ، وهنا ساد صمت عميق والعيون ترنو وتتطلع الى الست واذا بصوت سكينة حسن تنشد بيتين من قصيدة للشيخ محمد البوصيري شيخ اهل الطرائق الصوفيين الرمزيين وسيد شعراء الغزل الالهي وذات النبي الكريم :

كيف ترقى رقيك الانبياء
يا سماء ما طاولتها سماء
قد يساووك في علاك وقد
حال سنا منك دونهم وسناء

وتعالت اصوات المعجبين بالتهليل والتكبير والصلوات على خير البشر ، حتى وجدت بعض النسوة يترنحن يمينا وشمالا ويرددن (لا اله الله .. لا اله الا الله) على طريقة الدراويش في اذكارهم وقد اخذتهن سورة السمو الروحي فتدروشن على الطريقة الشيخية ..

اما انا فقد سحرني صوت الست سكينة الملائكي وصعقني صعقة مذهلة اثارت في كل احاسيسي وشجوني وانساب لحن صوتها الشجي وانغامه العذبة الرقيقة مع دمي في عروقي . وكان لترنيمها ذي المقاطع الموسيقية العندليبية ذات الصدى الصداح اشعرني وكان نفسي تطير من بين جوانحي وترفرف باجنحة خافتة ساكنة هادئة كرفيف جناحي الخفاش في الليل البهيم تعلو بي صعدا في اجواء السماء ، في عالم الغيب ، في ملكوت الصفاء والنقاء والخيال ، من هنا عرفت السر في تقدير الناس ومحبتهم وشدة احترامهم للست سكينة حسن وتعلقهم باذيالها تبركا بنفحات صوتها وعذوبة الفاظه ، فكانت دائما تمنحهم بضاعتها المزجاة من انغام ولحن وسحر وبيان وبلاغة عربية وكلام فصيح بحروف ابجدية لا يتداخلها حرف (الگيم) بدل الجيم ولا كلمة (برنوء) بدل كلمة (برتوق) اي (الكوجة والعنجاص) على طريقة الرطانة العامية المصرية .. والست سكينة حسن مصرية من عرب الصعيد ؛ واهل صعيد مصر من قبيلة كنانة المضرية الذين نزحوا من الجزيرة العربية ناشرين الاسلام تحت لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيادة القائد العربي عمرو بن العاص في الفتح الاسلامي الاول واستقر اكثرهم في ارض الصعيد جنوب مصر .

اما السبب المباشر لوجودها في بغداد بين سنة ٩١٤ ـ ٩١٥ ومن جاء بها فذلك اجهله ولعلها قد نظمت سفرات لبعض الاقطار العربية لتمنح ابناءها بعض ما تمنحنا به وتثير في نفوسهم المشاعر والعواطف الدينية بما تنشده من قصائد صوفية في ذكر الله ومدح رسوله وتصف مناقب آل بيته وصحابته .. وعلى كل حال لا يهمني من كل ذلك سوى انني احضر كل يوم وفي وقت الضحى لاستمع وامتع نفسي بصوت الست سكينة واهيم كما يهيم غيري بما ترسله من انغام والحان شجية تهز بها اوتار القلوب فتوقظ في النفس الاحاسيس وتحيي القلوب بذكر الله .. والحقيقة اقولها : كنت بواسطة اوتار حنجرة الست سكينة القوية المنعشة بدات استشعر حلاوة الايمان وافهم معنى الحياة الروحية .

وانتظم الموكب وسار من الحضرة الكيلانية فسوق الصدرية فالهيتاويين فجامع المصلوب حتى سوق الدهانة ! ! (ومن اول هذه السوق تبتدىء اول سلسلة مسقفة بالجملون (الجمالي) المتخذ من الخشب المغطى بالبواري والحصران والقصب الممزوج بالطين الاحمر حتى اذا ما هطل المطر انحدرت مياهه الى المجاري (المرازيب) ثم تنساب الى الارض خارج السوق .. والقسم الاخر من السوق بني سقفه بالجص والطابوق بشكل معقود على الطراز العباسي القديم على اعمدة حجرية قوية ، وتقع هذه السوق في النصف الجنوبي من بغداد حتى منتهى جامع الحيدرخانة في النصف الشمالي من بغداد ثم يتجه الموكب وقد ازدحم اكثر فاكثر نحو سوق السراي فسوق خان الرماح فسوق المفارجية الذي يشمل سوق الهرج القديم وسوق (خان جغان) وسوق الخفافين الذي يحيط بالمدرسة المستنصرية التي اتخذتها الحكومة العثمانية دائرة كمارك ومكوس ثم سوق الحصران والمدات

المصنوعة من ورق البردي فسوق الازر فسوق الصفافير فسوق انجوخچية فسوق الحبّص والهميانات فسوق الابريسم وخان الزرور والقياطين وسوق الجايف وخان دلة للتجارة والفوسيون وسوق البزازين واسواق لم نذكرها وسنأتي على ذكرها فيما بعد ! ! فهذه الاسواق كلها كانت مسقفة بالجملون في الوقت الذي لم يكن في بغداد شارع حديث كشوارعنا الحالية ، ففي ذلك الزمن لم يكن في بغداد لا شارع الرشيد ولا غيره من الشوارع الطولية والعرضية المنظمة العصرية .

وعادت الست سكينة للقراءة والانشاد بنغم الحجاز موالا .. مدائحيا في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم من نظم مطلعه :

يا حادي العيس يا للي للنبي رايح!!
خذني معاك ازور قبر النبي واشتم الروائح!!

وظلت تردد هذا الموال عدة مرات حتى خرجت من سوق لحم البقر في الدهانة وسوق الغزل والقطن وسوق علاوي الحبوب نهاية سوق الدهانة وعند مدخل سوق الشورجة حتى انشدت هذه الارجوزة المدائحية ! !

صلوا على احمد يا الحاضرين
خير البرايا في العالمينا

فيردد الجمهور الدور : صلوا عليه وسلموا تسليما ، بلحن ابقاعي ، وهي مستمرة بالقائها وانشادها وحماسها الديني الصوفي العذب المتسق:

حليمة لما رات انواره قد اشرقت .. مالت اليه وعانقت وقالت : هذا .. هذا نبينا !! خير البشر نبينا : صلوا على من جاءنا بالحق اظهر ديننا ! !

والجمهور يردد الدور : صلوا عليه وسلموا تسليما

وسار الموكب وقد وصل علاوي التمور والفاكهة في الشورجة وسوق الكوازين (الحباب والخناب والبسابيق والمشارب الفخارية الطلية بخليط القاشاني) والمواد الزجاجية « السيراميك » وسوق الفرابيل والمناخل (وهي المصنوعة من اوتار امعاء الحيوانات « المصارين » المنسوجة منها والمحبوك الناعم الدقيق ومنها المخرم الواسع وسمي واحده منخلا وغالبا ما يستعمل لنخل اي تصفية الدقيق من مطحون حبوب القمح وغيره لعمل الخبز منه ، والمخرّم الواسع يسمى بـ « الغربال » او « الغربيل ») .. وفي نهاية سوق الشورجة الكبير ينتهي عنده سوق البقال خانة وفيه تباع اصناف البقالية والفواكه والاعناب الصيفية والشتوية الطازجة المحلية والجافة المستوردة من الهند وايران وتركيا ومن عمان وبقية امارات الخليج العربي والاحواز ويكون من ضمن هذه السوق سوق اخر هو سوق المواعين والفرفوري والاواني الزجاجية والفخارية المستوردة من الصين واليابان وروسيا على اختلاف اشكالها واحجامها وكانت تصنع خصيصا لتلائم الذوق البغدادي ومقتضياته الضرورية) ويختم سوق الشورجة بسوق المعاضد والاسوار وادوات الزينة النسائية كالودع والدهش والمسابح والقلائد المصنوعة من الزجاج الملون الرخيص ، وما اشتهرت به هذه البضائع الزجاجية فرع من السوق (دربونة) العلامة حسين بن روح احد الفقهاء والعلماء البارزين من ائمة المذهب الاثنى عشرية الامامية والذي توفي في القرن الثالث الهجري ودفن في داره في الشورجة وقد اقيم له مسجد في العهد العثماني وقد تجدد عدة مرات وما زال عامرا تؤمه الناس للصلاة) .. ومن هذا الحد يبدأ سوق العطارين (سوق العطاطير) حسب الاصطلاح البغدادي ..

والناظر الى الست سكينة حسن وهي بملاءتها اي ازارها أو عباءتها ينبادر الى الذهن لاول وهلة انها مصرية تسير في شارع سيدي الحسين من ازقة وسكك القاهرة بانشادها وطاخمها البشري من المحبين والمريدين وكأن بغداد بمن فيها صارت القاهرة حيث لم تألف مثل ذلك من قبل ..

وعند بداية سوق العطاطير الى جامع مرجان (وهو السوق الكبير الذي يباع فيه كل شيء تحتاجه العائلة البغدادية المتحضرة وفيه عدة مخازن وانابير اي خانات وعنابير خاصة بالتجار المستوردين والمصدرين وباعة المفرد والجملة من السكر والشاي الحديث العهد في بغداد والبهارات والافاوية والصابون والعقاقير والاعشاب النباتية الطبية التي تجلب من الصين والهند والافغان وبلاد بخارى وما وراء النهر ومن بلاد سمرقند وطاشقند ومرو) ، وكنا نرى في هذه السوق التجار والباعة واصحاب الدكاكين والعمال والحمالين وعيونهم محدقة واعناقهم مشرئبة وانتباههم مرهف الى صوت مدائح وموالات وموشحات واراجيز وقطع الابيات الشعرية من تلاحين وترانيم الست سكينة حسن (الاوكسترا) العظيم عدا الموكب الشعبي الذي

صحبها من الحضرة الكيلانية المقدسة والذي قادته سكينة وشدته اليها بما تملك من مواهب نادرة كانت تفتقر اليها بغداد .. ومن هنا بدات تنشد بعض الابيات الشعرية من نظم شاعر الرسول حسان ابن ثابت ومن قصيدة طويلة صدحت بها من نغم الصبا جعلت الناس هادئين تسودهم الدهشة ولا تسمع منهم إلا نبرات الاعجاب وونات وآهات انتزعتها من صدورهم المكلومة وهي تغرد وليس تغريد العندليب وهي تسجع وليس سجع الحمام وتقرا من هذه القصيدة :

الم تريا ان الملامـــة نفعهـــا
قليل اذا ما الشيء ولّى وادبرا
تهيج البكـــاء والنـــدامة ثم لا
تغير شيئـــا غير ما كان قـــدّرا
اتيت رسول الله اذ جاء بالهـــدى
ويتلـــو كتـــابا كالمجـــرة نـــيرا
اقيم على التقوى وارضى بفعلهـــا
وكنت من النار المخـوفة احـــذرا

وظلت تردد هذه الابيات بعذوبة وموسيقية مدهشة من جامع مرجان حتى ســـوق البزازين وسوق الونائية (الكبجية) حتى قهوة العنبار في المصبغة وخان الدفتر دار وسوق السرجية وخان الشابندر المجاور للمحكمة الشرعية .. وتنهـال عليها الهبات والعطاءات والهدايا النقدية من قبل جمهور المستمعين واهل الخير والصلاح فيأخذها شيخنا الدليل المغربي وهذا الحد هو اخر الاسواق المسقفة الكبيرة التي ابتداناها من سوق الدهانة حتى جامع الحيدرخانة وسوق الميدان وســـوق السراي كما قدمنا وذكرناه سابقا بما فيها الاسواق الفرعية كسوق الحـدادين والتنكجية والتكمجيـة والاسكجية (بياعة الاحذيةالقديمة المستعملة)وسوق باب الاغا ومدخل العاقولية وسوق المولى خانةبراس الجسر من جانب الرصافة ولو ان في بغداد كثيرا من الاسواق المهمة في انحائها الاخرى ومحلاتها القديمة الا انها ذات جماليات ومعقودات قصيرة غير متصلة بمجموع الاسواق الكبرى ذات السقوف الجمالية مثل سوق الغزل وسوق قمرالدين والصابونجية وسوق قنبرعلي وسوق حنون وسوق ابو سيفين وسوق ابو دودو وسوق راس القرية وســـوق الصدرية وسوق القاطرخانة وسوق العوينة وغيرها من الاسواق الصغيرة وهناك اسواق صغيرة ومحلية اخرى الا انها مكشوفة غير مسقفة مثل دكاكين حبوب وسوق التسابيل وسوق قهوة شكر وفضوة عرب وما اليها وكل هذه الاسواق تمتد في ما يقارب الى نصف بغداد القديمة من ناحية الرصافة ولها مداخل ومخارج وتكون غير مستقيمة متعـــرجة وضيقة جدا في بعضها .

وتستمر الست سكينة حسن في انشادهـــا ومدائحها والجموع وراءها تردد دور انشادها وهي مارة امام جامع العدلية الكبير والمحكمة الشرعيـــة وحمام القاضي وشريعة الوالي وشريعة النواب من محلة راس القرية وسوقها وحمام حيـــدر المقابل لمحلة الجنابيين ومركز شركة اسطيفن لنج التـــي اتخذتها الحكومة العثمانية مركزا للشرطة (البوليس) لانضباط قانون البوليس النظامي ثم تعرج شطر جامع امين الباجه‌جي ومنازل آل الباجه‌جي وبيت الزبيق في محلة العمار وسبع ابكار ومدخل معامل النسيج والخياطة ومعامل الحدادة والنجـــارة الحكومية في العباخانة (اعمالت خانة فابريقه‌سي) التي هي مدخل محلة القاطرخانة وسوقها الكبير .. وهنا ياخذ الموكب بالسير السريع وتنشد الجموع اناشيد ايقاعية فترقص لها الصبية والاولاد والبنات ويتوقف الانشاد قليلا حين تمر الست سكينة حسن من جامع السيد سلطان علي مبممة وجهها نحو محلة المربعة ومنها نحو شارع الشيخ عبدالقادر الكيلاني ثم في طريقها تمر بساحة الخلاني في محلة راس الساقية وتسلك سبيلها حتى تغيب عن الانظار في فناء جامع سيدنا الشيخ عبدالقادر الكيلاني قدس الله سره وعطرالله ضريحه واعلا مقامه حيث دلفت الى حجرتها لتستريح من عناء رحلتها اليوميـــة المتعبة في اسواق بغداد وطرقاتها التي تستغرق في الغالب السبع ساعات كاملة ويتجدد الموكب ضحى كل يوم حتى تعود اهل بغداد التجمع حول بيوتهم ومنازلهم ومحال اعمالهم ومهنهم وحرفهم ليشنفوا اسماعهم بمدائح وانشاد وقصائد الست سكينة ويمتعوا انفسهم بعذوبة الالفاظ وسحر البيـــان ورخامة الصوت الذي تسحرهم به دائما ..

والحق انني سمعت كثيرا من اصوات النساء اللائي وهبهن الله قوة الحناجر وعذوبة ورقـــة الصوت وفن اداء الترانيم والغناء الذي يســـمو بالارواح نحو اللطف والكمـــال وتهذيب المدارك والافهام لم اتاثر بشيء من هـذا ما تاثرت بـه من صوت ومهارة غناء الست سكينة حسن .. فقد سمعت صوت منيرة المهدية وموالاتها وقصائدهـا المغناة وسمعت وانا طفل غناء الست طيرة المصرية واغانيها وصوتها العذب الذي سحرت به عقول واذواق الشباب البغدادي وذلك سنة ١٩٠٦ ..

كما سمعت صوت وغناء السيدة ام كلثوم سنة ١٩٢٢ اميرة الطرب والغناء ، ثم سمعت غناء (نادرة) وغيرها من شهيرات المغنيات والمطربات المحترفات فتلاشت هذه الاصوات كلها امام صوت الست سكينة فلم يستهوني ولم يؤثر في اعماق احاسيسي وشعوري ولم يسحرني ويثير حماسي الى الفن والترنيم في تلاوة السيرة النبوية ومناقبها مثلما اثر في من صوت وغناء الست سكينة الفاضلة الكريمة والمراة الزاهدة المؤمنة والتقية الورعة .. جاءت بغداد فلم تغني لاحد ولم تحضر حفلة طرب من الحفلات الخاصة ولم تحترف الغناء ليدر عليها المال من كل جانب وان ما تحصل عليه من هبات المعجبين يوزع الى فقراء بغداد وبالاخص منهم فقراء الحضرة الكيلانية بعد ان تقتات بشيء يسير منه ولو فعلت لكانت من اثرى المغنيات في العالم العربي .. ولم اكن مغاليا اذا قلت اني افضل حنجرة الست سكينة على حنجرة أم كلثوم على ما عرفت به من موهبة خارقة في فن الغناء ومكانة وشهرة في المجتمع العربي والشرقي .. بل كرست الست سكينة حياتها وفنها وانشادها لخدمة مدح الرسول والترانيم والموشحات الدينية والعناية الفائقة في تلحين وانشاد السيرة النبوية الخالدة ..

ومرت الايام وتوالت السنون وبدا العالم ينفض ما عليه من غبار الحرب العالمية الاولى وبدات الامور تعود الى مجاريها الطبيعية وبدا اهل بغداد يستعيدون ذكرياتهم مع الست سكينة حسن المصرية وبدا النشاط يدب في اسواق بغداد ومحالها التجارية ..

وفي ذات يوم استهواني حب الاستطلاع فدخلت محل شركة (بيضافون كمپنى)لبيع الات الحاكي (فونوغراف) والاسطوانات المتنوعة وذلك سنة ١٩٢٥ وكان ذلك في سوق راس القرية وطلبت فهرسا ودليلا باسماء ما موجود لدى الشركة من الاسطوانات .. وبينما انا اقلب صفحات الكراس وما فيه من اسماء المغنين العرب على اختلاف اقطارهم اذ وقع نظري على اسم عابر اعرفه جيدا فدققت النظر وحدقت فيه بملء بصري ونظرت اليه بدقة وانتباه اثار شعوري وهزني كما هزني اول انشاد سمعته من الست سكينة فاذا انا باسطوانات الست سكينة حسن القرئة الحافظة وعددها اربع اسطوانات من سورة يوسف ، فتقدمت نحو بائع الشركة وطلبت منه الاربع اسطوانات دفعة واحدة وساومته قيمتها فطلب مني (ثلاثين روبية) وهي العملة الهندية الانكليزية المتداولة في العراق بعد الاحتلال فانقدته المبلغ ورقا بنكنوت واخذت اسطواناتي وحظيت بترتيل اعظم مجودة وقارئة للقرآن الكريم من النساء بصوت عذب شجي والقاء صوتي الهامي وحنجرة قوية ونغم مرخم ذات مقاطع موسيقية وهي تتصرف بادائها الترتيلي مما ياخذ بمجامع القلوب المستانسة بذكر الله من كلامه الكريم .. وهل كنت اصدق باني في يوم من الايام سأسمع ذلك الصوت الذي فقدته بغداد ، صوت الست سكينة واسمع منها ترتيل القرآن الكريم .. كم تملكني من شعور واحساس حين قبضت على الاسطوانات الاربع وتملكتها فوالله كاني تملكت الدنيا كلها .. وبقيت سنوات وانا اسمع ترتيل القرآن من هذه الاسطوانات ومن الاكرامافون الذي بحوزتي حتى عفى عليها الزمن وامحت آثار الصوت من تلكم الاسطوانات حتى بطل مفعولها .. وذهب الزمان بالاكرامافون وحل محله الراديو في الثلاثينات وسمعت من اذاعة مصر ومن مقرئي القرآن الكريم فلم اسمع في يوم ما صوت الست سكينة حسن مع ان لها تسجيلات كثيرة على الاسطوانات .. ودخلت سنة ١٩٤٠ وبينما انا اتصفح احدى المجلات المصرية فقرات نعي المرحومة الست سكينة حسن رحمها الله فحزنت على موتها حزنا عميقا .. ولا تزال تتردد على مسامعي اصداء ترتيلها وانشادها كلما سمعت صوت ام كلثوم يصدح على امواج الاثير . وفي يوم ما ذهبت الى السينما لمشاهدة احد افلام مطربة الشرق والامة العربية السيدة ام كلثوم وهو فلم (سلامة) وهي ترتل بعض آيات القرآن الكريم فاستبان لي الفارق بين الترتيلين فكان البون شاسعا وكبيرا بين الاداءين بصوت السيدتين المذكورتين .

ذكرياتي عن الحرب العالمية الاولى وما صاحبها من احداث في بغداد

وقد حدثت احداث زمنية قبيل سنة ١٩١٥ منها الطبيعية ومنها الاخطاء في القيادة العسكرية : فمن هذه الاخطاء العسكرية التي اثرت فينا اي تاثير : انه في سنة ١٩١٤ اعلنت الحرب العالمية ودخلتها الدولة العثمانية بجانب المانيا ضد الحلفاء وجردت لها حملة عسكرية قوامها عشرون الف جندي مقاتل من لواء بغداد وقضاء الكاظمية وقضاء سامراء وبعض الاقضية التابعة لبغداد والاقضية التابعة الى لواء ديالى وسفرتهم الى شمال شرقي تركيا وعلى سفوح جبال القفقاس المتاخمة لتركيا لمجابهة القوات الروسية المهاجمة على حدود تركيا

وحدودنا الشمالية في مناطق الاكراد .. فصادف ان تساقطت الثلوج بكثرة هائلة على جبال القفقاس واشتد البرد وانهالت القطع الكبيرة من الثلوج على مخيمات الجنود العراقيين الذين لم يألفوا برد الطبيعة وثلوجها فدفنتهم تحت هذا الركام من الثلج فماتوا الا قليلا وهذا القليل الذي نجا من الموت وفر من هول الكارثة وقع اسيرا في قبضة الجيش الروسي ، وعلى اثر ذلك تجمدت بحيرة (وان)(١٨) وصدرت اوامر احد القادة الاتراك ـ وتحت امرته كثير من الجنود العراقيين ـ الى قطع جيشه بالسير فوق البحيرة المتجمدة ظنا منه انها تحملهم وعتادهم وخيولهم لانها متجلدة سنة فما اجتازوا واوغلوا في منتصفها الا وانفرجت وغاص الجيش تحتها بما فيه من رجال وسلاح ومؤن وخيول وقد غمرتهم مياه البحيرة غرقا والذين لا يزالون يسيرون خلفهم على ارض متجمدة تماما لما شاهدوا ما حل باخوانهم من الغرق والدمار اخذهم هول المصيبة وسادهم الفزع والخوف والهلع فهاموا على وجوههم تيها في تلك الاكام والجبال والثلوج فماتوا من شدة البرد والجوع والتعب وفتكت الاوبئة المختلفة بالبقية الباقية من الجيش ولم ينج من تلك الحملة والتي يقدر عددها بعشرين الف جندي عراقي الا المائة او المائتين منهم على اكثر تقدير .. وتوالت اخبار النكبة على بغداد الثكلى فجعلت في كل بيت من بيوتها مناحة وعزاء وجزع نساؤها على ابنائها فلطمن الخدود وشققن الجيوب ونثرن الشعور واكتست بغداد ثوب الحزن وظلت هذه الفاجعة ذكرى مؤلمة ترويها الاجيال بعد الاجيال ..

والامر الطبيعي : هو الفيضان الهائل الذي اغرق بغداد ودمرها برمتها ولم ينج منه الى بعض المحلات العالية المرتفعة التي لم يصلها الماء . اما الاطراف والاماكن السكنية المنخفضة فقد غمرتها المياه وفر اهلها الى الاماكن المرتفعة حيث بيوت الاقرباء والاصدقاء والجوامع والكنائس يحتمون بها وينجون بانفسهم من طغيان دجلة الذي داهم بغداد على حين غرة فكنت ترى البيت الذي كان يستوعب عائلة او عائلتين قد ازدحم ببضعة عوائل بما فيهم دوابهم وانعامهم ، والدار الذي لم تغرقه المياه فقد هدمته الرطوبة واحالته خرائب تنعق فيها البوم .. انها لمصيبة وما اكبرها واعظمها من مصيبة شاهدتها وانا صبي وما ازال اتذكرها فتثير في نفسي مكامن اللوعة والاسى .. وكان ذلك في ١٥ و ١٦ تشرين الثاني سنة ١٩١٤ .

ولم تكد كارثة الغرق ان تهدأ بعد هبوط مناسيب نهر دجلة وروافده الا وفوجئنا بخطر الحريق(١٩) الذي التهم محلة العوينة وقسما من محلة المربعة وقسما من محلة الصدرية ومحلة الشيخ سراج الدين وقسما من محلة الحاج فتحي.. اما كيف حدث هذا الحريق المروع الهائل فاليك بيانه : لما اعلنت الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٤ وضعت الدولة العثمانية يدها على الاموال الاجنبية التابعة لاشخاص وشركات دول الحلفاء اعداء الدولة فسفرتهم الى خارج ممالكها وكانت شركة (لنج) وشركة (بلوكي كري ومكنزي وشركاهم) البريطانيتين والتي تمتلك في بغداد كثيرا من محلات التجارة والاستيراد وبواخر كما بينا ، فكان لهما كذلك مستودعات بترولية وغازية ونفطية جمعتها الدولة في علوة المخضرات في العوينة لسعتها وكبر فنائها الذي استوعب اكبر كمية من صناديق النفط والمواد الاخرى القابلة للاشتعال السريع وفي صبيحة يوم من ايام شهر ايار سنة ١٩١٥ علا الجو دخان قاتم ساخم انتشر بسرعة هائلة فعم سماء بغداد واعقبه ضرام نار حادة وحدث بعدها دوي مخيف امتدت على اثره السنة النيران الى عنان السماء وظلت النيران تضطرم خمس عشرة يوما بلياليها .. وفي خلالها دعا داعي الحمى ليقوم الاهلون بواجبهم فهبوا شيبا وشبانا نساء ورجالا فاقتحموا النيران المستعرة وخاضوا ماء النزبز حول العلوة وانتشلوا البقية الباقية من صناديق الوقود وصفائح النفط التي لم تصلها النار بعد .. وقد التهمت النيران خلال الاربع عشرة يوما زهاء الثلثمائة دارا وخانا ودكانا الامر الذي جعل اهل بغداد يقعون في ضيق وحرج سبب بعض المجاعة من جراء هذه الحرائق والفيضانات وانتشرت الاوبئة في انحاء بغداد كالطاعون والتيفوئيد .

وفي خضم هذه المكاره والنوازل المحقة فتح الحلفاء الجبهة الشرقية في العراق واحتل الانكليز البصرة والعمارة حتى وصلوا الى الكوت .. واخذ الاتراك يجندون الشباب والصبيان ممن لم يجند من قبل لان جميع ابناء بغداد جندوا وارسلوا الى القفقاس وهلكوا جميعا الا ما ندر كما قدمنا وذكرناه من قبل .. حتى انا وان سلمت من الموت فلم اسلم من مرض التيفوئيد لمدة اكثر من سنة حيث لا طبيب ولا دواء ولا معالجة في المستشفيات ولا رجال ولم يبق في بغداد بعد هذا التجنيد غير الاطفال والنساء والشيوخ والامراض والقحط والمجاعة وتوالت علينا الفواجع المتوالية فانستني حتى نفسي واوجاعي

والامي التي بقيت اعاني الامرين منها وما ان نقهت من مرضي حتى تم تسفيري الى جسر ديالى في الزعفرانية لحفر الخنادق (السوبيرات) للدفاع عن بغداد ضد الانكليز المستعمرين .. ولاول مرة بعد ابلالي من مرضي في اوائل سنة ١٩١٦ يوشر بشق شارع جديد طويل يبدأ من باب المعظم الى الباب الشرقي وفي مطلع سنة ١٩١٧ تم افتتاح الشارع من قبل والي بغداد خليل باشا وثبتت بعض الكتابات على جدران جامع السيد سلطان علي بالخط الفارسي (خليل باشا جادەسي) وجاء الانكليز ودخلوا بغداد بدعوى انهم جاءوا محررين لا فاتحين، وكان يوما مشؤوما هو يوم ١٩١٧/٣/١١ الذي دخل فيه الانكليز بغداد وكان حالهم اسوأ على العراقيين فقد لاقوا منهم ما لاقوا من عنعنة وعجرفة وكبرياء مما لا يطاق مما عجل بالثورة العراقية سنة ١٩٢٠ ـ ١٩٢١) وانتهت بقيام الحكم الاهلي الملكي في العراق .. وهكذا اسدلت صفحات سوداء تحت ظل الاحتلال العثماني وظروف الحرب العالمية وسيطرة المستعمرين الانكليز .. ! ! .

ذكرياتي مع مريم نرمه من اوائل الصحفيات في العراق

معرفتي بالسيدة الفاضلة مريم نرمه سنة ١٩٢٤ اذ كانت تسكن دارا في محلتنا (القاطرخانة) مقابل شرطة العباخانة التي هي اليوم بناية الثانوية الجعفرية في شارع الوثبة وبحكم الجوار دعتني السيدة لزيارتها في بيتها فلبيت الدعوة ، وشربنا القهوة وجرى بيننا الحديث عن الصحافة والادب والكتاب والضجة التي بدأ يثيرها بعض الشباب المتطرف حول سفور المرأة وتبرجها ومناصرة الدعوة الى تحرر المرأة وسفورها متأثرين ببعض الكتاب في مصر حيث الدعوة بدأ لها رواج من بعضهم وكانت السيدة مريم متأثرة اشد التأثر من حملتهم الشعواء على الحجاب والدعوة الى التبرج والسفور المطلق في بلد لا تسمح ظروفه الاجتماعية ان تروج فيه مثل هذه الدعوات ودون ان تسبق ذلك دعوة الى تعليم المرأة وتثقيفها وكان من هؤلاء الشباب الاساتذة مصطفى علي وحسين الرحال وعوني بكر صدقي واخوه لطفي ومحمود السيد ، اذ اصدروا صحيفة يحررون فيها ما يلائم فكرتهم ويروج لدعوتهم .. وكانت السيدة مريم كلها ثورة ونقمة على هؤلاء الشبان ، وكلها نار حامية على الاوانس والسيدات اللواتي انسقن وراء هذه الدعوات من غير تبصر وروية وفي نظرها ان تكون مرحلة تعليم المرأة الخطوة الاولى لتحريرها من كل الافكار والاوهام التي تسيطر على عقليتها وبعد ذلك فعلى المرأة هي التي تقرر مصيرها بنفسها ، فالجهل آفة من الآفات الاجتماعية الخطيرة التي يجب القضاء عليها بكل ثمن وعلى هؤلاء الشباب ان يصرفوا الجهد الى ذلك .

وكانت السيدة مريم امرأة جاوزت العقد الثالث ، متزوجة ولكنها عقيم لا تنجب ، محافظة ومتدينة ملازمة البيعة في الكنيسة تصلي بكرة واصيلا ، ترتدي الملابس الطويلة ، وتتلفع بازار يضم اطراف جسمها ولا يظهر منها الا الوجه والكفان ونباسها شبيه باللباس الشرعي الاسلامي العربي الذي كانت ترتديه المرأة المسلمة في الحواضر والبوادي والارياف .. وكانت تصب جام غضبها على (...) وعلى شقيقها (...) ، لانها اول فتاة عربية مسلمة نزعت حجابها واسفرت سفورا مطلقا .

وكانت السيدة مريم تكره قاسم امين صاحب هذه الدعوة في مصر وتعتبره اصل البلاء لانه اول من نادى بحقوق المرأة وتحررها من القيود ودفعها الى اوضار المجتمع الممزق المنهري من الاداب تقليدا للمرأة الغربية ... والمرأة المثالية عندها هي الكاتبة والشاعرة والاديبة « ملك حفني ناصيف » المرأة المثقفة ثقافة عالية ولكنها في نفس الوقت غير متبرجة ولا سافرة سفورا مطلقا متحجبة حجابا معتدلا ، فكانت ملك تكتب وتنظم القصائد وتدبج المقالات في الفضيلة والحشمة والاخلاق في مجلة « المقتطف » المصرية باسم « باحثة البادية » بمقالات متسلسلة تباعا ، وهي المرأة التي وضعت الخطة الناجحة والقدوة الحسنة لتحرير الفتاة والمرأة العربية وذلك عن طريق التحلي بالاداب والفنون والمثل والتعلم .

وكانت السيدة مريم تنظر الى السفور كقضية ثانوية فاللباس لا يغير شيئا من طبيعة المرأة اذا عرفت نفسها وما لها وما عليها .. الا انها اي السيدة مريم لا تؤمن بالطفرة والقفزة السريعة التي تحركها الاهواء .

وكانت السيدة مريم ذات نزعة اصلاحية اجتماعية متأثرة ببعض الكتاب الغربيين ومنهم الكاتب الاجتماعي « جون سيمون » ونقده حالة المرأة الاوربية والغربية على تنكرها وتمردها على واقع الحياة الزوجية .

وفي عام ١٩٢٨م اخبرتني السيدة مريم بانها

عزمت على اصدار مجلة ادبية عنوانها « فتـــاة العراق »(٢٠) .. وفي عام ١٩٢٣ زرتها في دارهـا الجديدة التي اشترتها في عقد العريض من المحلة ذاتها ، وقرأت لوحا من الخشب على واجهة باب دارها عليها (ادارة مجلة فتاة العراق) فاستبشرت خيرا. فطرقت الباب واستاذنت بالدخول فاستقبلتني السيدة مريم بالترحاب الحار والاستئناس وقدمتني الى شخص لم اكن اعرفه من قبل وقالت له : اقدم لك (اخي) وقالت لي : اقدم لك صديقي الاستاذ الكاتب الاديب (يونان عبو يونـان) فرحبت به وفرحت بلقائه لاني كنت كثير الاعجاب بكتاباتـه ومقالاته في الصحف والمجلات عن الاصطياف في ربوع الشمال الحبيب وعلى الاخص عن « سر عمادية » و « زاويته » و « بامرني » و « تل اسـقف » و « بعشيقا » ومصيف « ديرمتي » وغيرها مـن المصايف العراقية .. وفي الحقيقة كانت كتـابات الاستاذ يونان شيقة وممتعة ومحببة للنفـوس وترغبها لزيارتها والاستمتاع بجمال الطبيعة فيها .

وفي نظري ان يونان اول داعية اعلامي ومرغب المصايف العراقية منذ سنة ١٩٢٦ حتى اواخر الثلاثينات عند بدء الحرب العالميـة الثانيـة . .

واردفت السيدة قولها : ان الاستاذ عبو سيكون رئيس تحرير مجلتي .. وفي سنة ١٩٢٤ صدر العدد الاول من مجلة « فتاة العراق » وفي العدد الثاني ساهمت بتحرير مقالة بقلمي عنوانها «وجوب العناية باللغة العربية في المدارس الاهلية» واقصد بها المدارس المستقلة عن المنهج الوزاري وعلـى الاخص المدارس الاجنبية والطوائفية الدينية منها.. وصدر العدد الاخر ولم يصدر عدد رابع حتى كتابة هذه السطور اي في سنة ١٩٦٩ ، واخبرتني السيدة مريم انها خسرت مائة دينار بسبب اصدار هذه المجلة التي لم يكتب لها الرواج والتوفيق وظلت اللوحة في مكانها تعلو باب دارها الى ما بعد انتهـاء الحرب تحمل اسم المجلة ! ! ..

وغمرتنا الحرب العالمية الثانية بما تحمل من مآسي وويلات، وتبدل الزمن وتغيرت الدنيا وحدثت احداث وانقطعت علاقتي بالسيدة مريم فلم اسمع عنها شيئا .. وفي يوم من ايام سنة ١٩٤٧ بينما كنت اسير في شارع « حافظ القاضي » في الكرادة الشرقية لفت نظري لوح قديمـة عتيقـة سبق ان الفتها فتفرستها ودققت النظر فيها فاذا بي امام تلك اللوحة التي تحمل ادارة مجلة فتاة العراق والتي طالما كنت اراها مثبتة فوق باب دار السيدة مريم بمقد العريض لم تتغير ولم تتبدل هي نفسهـا ماثلة امام عيني ، فسألت عن صاحب الدار ، هل هي السيدة مريم نرمه ؟ ! فاجبت بالايجاب الا انها الان غير موجودة واظن ان اللوح موجودة الى الان ولكنني لا استطيع الوصول اليها لمرضي الذي اعاقني واقعدني فاصبحت رهين المحبـين ، المـرض والشيخوخة ..

والذي علمتـه من السيدة انهـا تعلمت في مدرسـة الراهبات القديمـة واشتغلت بالتعليم الخصوصي لتدريس بنات ذوي الوجاهة ورجال الحكم في بيوتهن ، وكان زوجها (العم منصـور) موظفا في الكمارك والمكوس وهو رجل طيب القلب ، دمث الاخلاق ، هادىء النفس ..

هذا كل ما اعرفه وذكرياتي عن السـيدة المحترمة مريم نرمه وعن انتاجها وتاريخهـا الادبي والصحفي والعلمي ، وقد ذكرني به بعض ما كتبه عنها السادة الافاضل : عن قدم صحفية عراقية مريم نرمه ام بولينا حسون ؟ ! ؟(٢١) .. وكلتاهما قد اشتغلتا بالكتابة والصحافة في آن واحد الا انه صدرت مجلة « ليلى » لبولينا حسون في اعداد سنة ١٩٢٤ او ١٩٢٥ وصدرت منها بضعة اعداد ثم احتجبت عن الصدور ، وبولينا كانت على نقيض السيدة مريم ، فكانت عصرية في زيها ونشأتها . متحررة في تطورها واشتغلت في التعليم النسوي في المدارس الرسمية العراقية ، وبعد هذه السنوات لا اعلم عن السيدة مريم شيئا حتى يومي هذا(٢٢) .. واما الذوات الافاضل الذين وردت اسماؤهم في هذا البحث فعلى ما اعلم : فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر فنرجو المعذرة عما بدا منا تجاههم من هفوات .. وما ذكرناه للتاريخ وللتاريخ فقط..

الدكتور داود الجلبي(٢٣)

بمناسبة اهتمام محافظة الموصل (نينوى) بافتتاح مكتبة المرحوم الدكتور داود الجلبي الذي خصص من املاكه وجعلها وقفا خاصا لهذه المكتبة التي تضم آلاف المجلدات ومنها المخطوطة النادرة والكتب المطبوعـة النفيسـة القيمـة وبمختلف اللغات(٢٤) .. وجعل هذه المكتبة(٢٥) بما فيها من

بنايات وقاعات واثاث ورفوف ومناضد ومقاعد خاصة للمطالعة وسجلها وقفا رسميا خصصت لخدمة المواطنين من ابناء الموصل الحدباء والحق بها بعض المستغلات والعقارات يصرف ريعها وعوائدها على شؤون هذه المكتبة وعلى ما تحتاجه من كتب وموسوعات وتوسيعات في ملاكها في المستقبل ، وهي واقعة في محلة باب الدواسة في مدينة الموصل الفيحاء .. ووجود مثل هذه المكتبة مفخرة من مفاخر ابناء العراق في هذا القرن الذين يجعلون الثقافة للجميع ويرصدون لها الاموال من اجل نشر العلم والثقافة بين ابناء الجيل وفي مثل هذه المدينة العريقة الطيبة ..

وجدير بنا ان نلمح ولو باختصار واقتضاب عن ترجمة حياة المرحوم داود الجلبي .. ولد داود الجلبي في مدينة الموصل في اواخر سنة ١٨٧٩(٢٦) من سلالة اشتهرت بحرفة الطب والتطبب قبل قرنين من الزمان او اكثر في مدينة الموصل ، ولاجل المهنة .. وبعد ان اكمل الدراسة الاولية ومبادىء العلوم في مدارس الموصل والمكتب الاعدادي الملكي دراسته في اللغات في مدرسة الرسالة (الدومنيكية) وبعدها رحل الى الاستانة فدرس الطب في المدرسة الطبية العسكرية فيها ، وخدم في الجيش التركي الى نهاية الحرب العالمية الاولى ، ثم عاد الى العراق بعد الهدنة وبعد الثورة العراقية وتشكيل الحكم الملكي في العراق عاد الى الجيش واشتغل في مديرية الامور الطبية في وزارة الدفاع برتبة زعيم ، وكان احد الاعضاء في لجنة تدقيق المعاهدة العراقية ـ البريطانية .. ثم عين مديرا للصحة العامة ، وبعد احالته على التقاعد سنة ١٩٣٣ اشتغل بالطب في عيادة اهلية في الموصل خاصة به .. نال وسام الرافدين من النوع العسكري وشارك في جمعيات خيرية وطبية واجتماعية .. يتقن كثيرا من اللغات الاجنبية الى جانب اللغة العربية كالفارسية والتركية والفرنسية وشيئا من اللغة الانكليزية .. وكان ولعا بالمراطل في جمع الكتب واقتناء النادر والنفيس منها منذ شبابه حتى استطاع ان يكون من هوايته المفضلة مكتبته العامرة الذي نحن بصدد ذكرها .. وقبل سنوات من وفاته اقعدته واوهنته الشيخوخة فلازم بيته حتى اسلم الروح الى بارئها في مدينة الموصل مسقط راسه في ٢٨ ايار ١٩٦٠ .. وقد عاش الدكتور المرحوم داود الجلبي عمرا مديدا كريما نيف على التسعين عاما ..

وله من التاليف :(٢٧) (مخطوطات الموصل) وكتاب (الآثار الآرامية في العامية الموصلية) ، وكتب الموضوعات ونشر المقالات في مجلة لغة العرب لانستاس الكرملي ؛ وله بعض التصانيف غير المطبوعة للجاحظ وكتب اخرى لابن فارس وبعض المقالات والبحوث في مختلف المجلات والصحف المحلية والعربية في مصر ، ومراسلة الصحافة العربية والاجنبية بمختلف اللغات ..

***

الهوامش والتعليقات

(١) صابئيغ الآل ـ محلة من محلات الجانب الشرقي في بغداد (الرصافة) .. وبحدها من جهة الشمال محلتا القشل والدهانة ، ومن الشرق محلتا الشيخ سراج الدين والحاج فتحي ، ومن الجنوب محلة القاطرخانة ، ومن الغرب محلة السبع ابكار .. ويعني هذا اللفظ في اللغتين الكردية والتركية اللون الاحمر او الصبغ الاحمر ، وتنسب هذه المحلة الى جماعة من الصابئين سكنوا هذا الموضع من بغداد القديمة ومارسوا فيها مهنة صبغ الخيوط والاقمشة المختلفة بالالوان وخاصة اللون الاحمر ، فنسبت المحلة اليهم واشتهر الاسم بهم .

(٢) محلة السبع ابكار احدى محلات الجانب الشرقي من بغداد (الرصافة) . وبحدها من جهة الشمال محلتا صابئيغ الآل والقاطرخانة ، ومن الجنوب نهر دجلة ومن الغرب محلة راس القرية وبخترقها شارع الرشيد من وسطها .. وفي هذه المحلة مسجد آل الباچه‌جي الذي ذكره المرحوم العلامة محمود شكري الآلوسي في « مساجد بغداد » : ان هذا المسجد في محلة نهر المعلى الشهيرة اليوم بمحلة سبع ابكار .. كما جاء في ذكر جامع السيد سلطان علي قوله : واقع على دجلة من نهر المعلى .

(٣) البكرة والكرد بمعنى واحد ، والكرد لفظة فارسية وتعني آلة رفع المياه من الانهار والآبار واستخدامه لسقي الزروعات والبساتين .. وقوام الكرد بكرد واحدة او اكثر حسب الحاجة وكانت شائعة الاستعمال في شرائع بغداد بمثابة اسالة ماء بدائية ، اما طريقة سحب الماء وتوزيعه بواسطة الكرود فيتم بان يصب الماء بواسطة دلو في حوض اعد له على شريعة من شرائع دجلة فيذهب الماء بالسالية المحفورة تحت الارض والمزفتة تزفيتا متقنا ولقد كان جامع الشيخ عبدالقادر الكيلاني

وجامع الشيخ عمر السهروردي قبل مشروع اسالة الماء الحديث يجهز لهما الماء من سافية يجري فيها بواسطة (كرد) الاول منها نصب في شريعة الشيخ بالسنك والثاني في شريعة الميدان .. وقد سميت محلة راس السافية نسبة الى تلك السافية الممتدة من نهر دجلة الى جامع الشيخ عبدالقادر الكيلاني .. اما ارواء البساتين والحدائق المحيطة ببغداد فكانت تسقى بواسطة (النواعير) جمع ناعور والتي تسحبها الخيول او البغال .. اما بقية محلات بغداد فكانت تشتري الماء من السقائين وكانت طبقة السقائين منتشرة في كل مكان من بغداد وموزعين على محلاتها يستقون الماء من دجلة ومن الشرائع المشهورة عليه ، ثم ينقلونه الى البيوت في قرب كبيرة على ظهور الحمير او البغال او الخيول فكانت توضع على جانبي كل دابة قربتان وفي سنة ١٢٢٥هـ يقابلها سنة ١٩٠٧م ايام الوالي حازم بك انشئت ماكنة اسالة الماء في بغداد بواسطة مضخة نصبت في شريعة الميدان واجري الماء بواسطة انابيب ، وكان موضع هذه الماكنة في البوزخانة (محلة البلجة) امام مدرسة الصنائع التي هي اليوم قصر الثقافة والفنون في الميدان .. وكانت هذه الماكنة تسحب الماء من دجلة وترسله الى المحلات القريبة منها وهي : الميدان وبعض الحيدرخانة والصابونجية وجديد حسن باشا والطوب وكان مجموع البيوت التي يوزع اليها الماء في هذه المحلات ٢٦٠ دارا مشتركا لقاء اجرة شهرية لكل دار وهي عشرة قروش وهو مبلغ زهيد جدا وهو ما يساوي بعملة اليوم مئة فلس فارتاحت بغداد من عناء الارواء ونجت الجوامع والحمامات من مياه الابار المالحة .. وفي السنة التي تليها اي في سنة ١٩٠٨م نصبت مضخة اخرى في شريعة المصبغة قريب من قهوة الشط نهاية شارع المسعود من جهة نهر دجلة ومدت الانابيب لتوزع المياه الى المحلات القريبة منها ، ثم اشيع استعمال المضخات وتقلص مهام السقة في بغداد حتى ازيل بالمرة بعدئذ ..

(٤) ومن ذكر هذا المسجد (مسجد ال الباچهچي) السيد ابراهيم الدروبي في كتابه (البغداديون) ضمن مدارس بغداد فقال : « هذا المسجد واقع في محلة العمار سبع ابكار يتصل به من جهة شارع الرشيد محل ارشاد المصور ، وهو من اوقاف صاحبة الخيرات امينة خانون بنت عبدالرحمن الباچهچي .. شيد هذا المسجد الحاج نعمان چلبي الباچهچي ابن عثمان چلبي سنة ١٢٢٦هـ .. وكان سابقا مدرسة علمية يدرس فيها العلوم العقلية والنقلية ثم اعاد الحاج نعمان بناء هذه المدرسة المذكورة واوقف عليها وعلى المسجد المذكور اوقافا معلومة وشرط صرف غلتها على لوازم المسجد والمدرسة بموجب الاعلام الصادر من محكمة شرعية بغداد المؤرخ ١٠ شوال سنة ١٢٥٣هـ . وقد درس في هذه المدرسة علماء اعلام منهم العلامة غلام رسول الهندي والعلامة الملا مصطفى امام وخطيب جامع السيد سلطان علي ومدرسها الحالي الفاضل عمر مولود الدبيكي الكردي . وفي هذه المدرسة مكتبة قيمة تضم نوادر الكتب المخطوطة في التفسير والحديث والفقه واللغة والتاريخ والادب والفلسفة وغير ذلك من العلوم » .

(٥) ثم تنسب هذه التكية الى السيد احمد بن علي بن ابراهيم الملقب بالسيد البدوي صاحب الطريقة المعروفة باسمه والمتوفى في مصر في مدينة طنطا سنة (٦٧٥هـ / ١٢٧٦م) . وانما نسبت هذه التكية لشيخ آخر من شيوخ السادة الرفاعية في بغداد اسمه (الشيخ بدوي) وله ترجمة وافية في كتاب « تنوير الابصار » لشيخ الاسلام ابي الهدى الصيادي الرفاعي .. وفي سنة ١٩٦٠م هدمت ادارة الاوقاف هذه التكية وقد نسجت كثيرا من الاكاذيب حول تهديم قبره مما كانت حديث اهل بغداد وعوامه حينذاك ، واقامت على انقاض التكية عمارة ضخمة ذات عدة طوابق تصرف اليوم بعمارة البدوي على شارع الرشيد في راس القربة وابقت القبر في حجرته ارضاء لعواطف العوام ولهدئة ثورتهم ولم ينقل الرفاة الى المقابر العامة بعد ان جددت عمارة الحجرة والصقت بالعمارة وبميزها باب من الحديد على شارع الرشيد ..

(٦) لا تزال هذه البناية قائمة اليوم وتمتاز عمارتها بالطرازة البغدادية ، وتقع على شارع الرشيد جهة شارع النهر قرب جسر الاحرار مقابل عمارة كاظم مكية وهي تعود الى شركة (لنج) التي اسسها هنري لنج . وكانت شركة للنقل النهري في نهر دجلة وتعتبر بالنسبة للعراق بمثابة شركة الهند الشرقية بالنسبة للهند ، وعرف هنري لنج الشيء الكثير عن حوض نهر دجلة حيث قام بمسحه وتخطيطه ودراسته من عدة وجوه .. وكان هنري لنج هذا الساعد الايمن لـ (جيسني) في مغامراته الفاشلة في الفرات واصبحت شركة لنج من اربح الشركات ، وكانت على صلة بشركة الهند الشرقية ، وقامت هذه الشركة اخيرا بالاضافة الى النقل النهري باعمال تجارية واستيراد المكائن الزراعية .. وقد الغيت اعمال هذه الشركة في العهد الجمهوري ولم يبق لها كيان يذكر ..

(٧) راس القربة : احدى محلات بغداد الرئيسة في الجانب الشرقي (الرصافة) والقريبة من شارع الرشيد قامت في وسطها اليوم ساحة عبدالوهاب الفريري التي انطلقت فيما بعد موقفا للسيارات تكتنفها عمارات حديثة واسواق عصرية .. وهناك من يلفظ الاسم بالتصغير وهذا هو الاشهر وتسميها العامة (راس الكربة) .. اما الاتراك فكانوا يقولون (قرية باشي) بدون تصغير وقد ذكرها رحالتهم اولياچلبي بصورة (قورنه باشي) .. وسوق راس القربة واقع تحت شريعة خان التمر وهو يمتد من الشمال الى الجنوب وبه تتصل محلة راس القربة من جهة الشرق وهو قسم من الشارع المسمى اليوم بشارع النهر (شارع المستنصر) ..

والمحلة هذه شانها شان اية محلة من محلات بغداد القديمة تتكون من مجموعة عقود ودرابين وهي طرق متعرجة غير مستقيمة وضيقة جدا لعدم وجود التنظيمات البلدية في تخطيط المدن حينذاك فالطريق النافذ كانوا يسمونه عقد وغير النافذ يسمونه دربونة طالت ام قصرت .. فمن عقود محلة راس القربة في

القرن الماضي ولا يزال آثارها باق الى وقت من هذا القرن وهي : عقد السقاني ، عقد الخاصكي ، عقد الكاوور ، عقد القصيف ، عقد الرواق ، عقد حاجي امين ، حمام حيدر ، الجنابيين ، العمار ، تكية البدوي ، العقد الضيق وعقد ابو يعقوب .. واسم رأس القرية هذا في رأي بعض الباحثين يعني بداية الاراضي السهلة او الواطئة المنخفضة ..

(٨) وخليل باشا هذا عرف بـ (خليل بك) ايضا : تولى ولاية بغداد وقيادة الجبهة في ١٢ كانون الثاني ١٩١٦م الموافق ٦ ربيع الاول ١٣٣٤هـ وفي ايامه الاولى اندحر الجيش البريطاني في معركة سلمان پاك ، وحوصر في الكوت ، وفي عهد ولايته فتحت بغداد اول (جادة) بعرض ١٦ مترا سميت بـ (جادة خليل باشا) .. وكان افتتاحها في ٢٢ تموز ١٩١٦م الموافق ٢٢ رمضان ١٣٣٤هـ . وهذا الشارع سماه البريطانيون بعد احتلالهم لبغداد (الشارع الجديد) وهو المسمى اليوم بشارع الرشيد نسبة الى الخليفة العباسي العظيم هرون الرشيد (١٧٠ ـ ١٩٣هـ) ..

وقد وصف المؤرخون « خليل باشا » هذا بانه كان من اعظم القادة العسكريين حنكة ومقدرة حربية وهو من كبار الاتحاديين الا انه بالرغم من ذلك كان متهمكا باللذائذ مستسلما للنساء رغم اعاصير الخطر التي كانت تعصف بالبلاد من جميع اقطارها .. وقد هام وجدا باحدى المومسات في بغداد ، فاستولت عليه واستبدت بعقله والهته عن الامر المهم الذي انيط به ، حتى انه كان يقول لها وهو في لحظات نشوته : انا قائد الجبهة وانت الحاكم المطلق علي ! وما كان يعلم هذا المسكين ان هذه المومس التي حكمته حكما مطلقا هي الجاسوسة الانكليزية « فلكم » !..

(٩) المقصود بهذه الجادة هو شارع الرشيد الحالي ولم يكن من الباب المعظم الى الباب الشرقي في عهد خليل باشا بل امتد من الباب المعظم الى الكمرك في السنك ، بسبب ان بناية الكمرك التي اتخذت اليوم متحفا للازياء العراقية كانت في عهد الدولة العثمانية دار القنصلية البريطانية وتسمى عند العامة (القنصلخانة) وكانت البناية تمتد الى استقامة شارع الرشيد وقسما منها في دائرة البرق المركزية فامتد الشارع الى سور القنصليةوتوقف العملفيه اذ اعترضتالحكومةالبريطانية انيهدم قسم منقنصليتها في بغداد واصر خليلباشا على هدمها وكادت ان تحدث ازمة سياسية بين بريطانيا والدولة العثمانية بسبب ذلك لولا اشتعال نيران الحرب العالمية الاولى وانشغال الدولتين بها فاهمل المشروع وتوقف الشارع الى هذاالحد وخسرت الدولة العثمانية الحرب وخرجت من العراق وحلت الدولة البريطانية محلها في احتلال العراق وفي عهدها امتد هذا الشارع الى الباب الشرقي عند الدباغخانة العسكرية وبمحاذاة نهر دجلة من جانبه الشرقي ...

(١٠) عرفابناء الواقف السيد عيسىبذرية السيد عيسىوقد ذكر مجلسهم ضمن المجالس البغدادية السيد ابراهيم الدروبي فيكتابه (البغداديون) فقال: هذا البيت منارفيع واجلبيوتات بغداد وال السيد عيسىسادة حسنية وقد نشأ منهم علماء اعلام ذكرهم الحيدري في كتابه (عنوان المجد) . وهذه الاسرة عريقة ببغداد ... وكان آل السيد عيسى مجلس علمي ببغداد يتردد اليه العلماء الاعلام من آل النقيب وال الالوسي وال الجميل وال السويدي وال كبة ، وكانت لهذا البيت مكتبة حافلة بشتى العلوم وتضم نوادر المخطوطات » ..

(١١) الصباخانة ـ محلة من محال بغداد القديمة في الجانب الشرقي منها وتحيط بها المحلات التالية : السيد سلطان علي او المربعة من الجنوب والعمار سبع ابكار من الغرب والقاطرخانة وصابيغ الآل من الشمال ومحلة الحاج فتحي من الشرق وكان موضع هذه المحلة يسمى سابقا (حمام الراعي) .. وفي عام ١٨٦٤م اسس الوالي نامق باشا اول معمل حديث للنسيج في العراق ، وهو الذي اطلق عليه البغداديون اسم (الصباخانة) او (القاطرخانة) وبه عرفت المحلة المحيطة بـه . وكان يدار بقوة البخار وينتج بعض حاجيات الجيش من البسة وخيام ، وحين جاء مدحت باشا عمل على تطوير المعمل وتوسيعه حتى وصل انتاجه في اليوم الواحد الى ثلثمائة متر من الاقمشة الصوفية واربعمائة متر من الاقمشة القطنية السميكة ..

(١٢) جامع الحاج فتحي ـ احدى محلات الجانب الشرقي من بغداد وسميت بهذا الاسم نسبة الى هذا الجامع الذي آل اليوم الى خربة تسود ملكيتها الى الاوقاف ويطل على شارع الجمهورية .. وقد ذكره العلامة محمود شكري الالوسي في « تاريخ مساجد بغداد » عند الكلام عن الحاج فتحي فقال : « سألت بعض من في الجامع الشيوخ والكهول عن الحاج فتحي الذي ينسب اليه المسجد والمحلة التي حوله فقالوا : كان على ما سمعنا درويشا جاء من الموصل واقام في المحل وصار له اتباع ومريدون في هذا المسجد ، ولما توفي دفن عند الباب عن شمال الداخل ، وقد جعلت الاوقاف قبره في عمارتها الاخيرة حانوتا .. عرفت ان هذا المسجد كان قفرا فاتخذه الحاج فتحي مسجدا عام ١١٦٩هـ » .

(١٣) من مذكرات السيد محمد رؤوف السيد طه الشيخلي والتي دونها في كتابه « مراحل الحياة في الفترة المظلمة وما بعدها » يقول اثناء الكلام عن تعلمه في الكتاتيب في عهد الطفولة ، وكان الكتاب الذي تعلم لديه القرآن الكريم هو عمه السيد عبدالحميد الذي كان يباشر تعليم الاطفال مع شقيقه : فتعلمت لديه القرآن الكريم والكتابة وشيئا يسيرا من الحساب وكان للاخوين المذكورين وظيفة اخرى في جامع السيد عبدالكريم الجيلي وهو واقع في الطريق الذي بين جامع الحاج فتحي وجامع السيد سلطان علي وكان يسمى (عقد الجاموس) فكنت اذهب مع عمي السيد عبدالحميد عصر كل يوم الى جامع السيد عبدالكريم الجيلي فيتفقد نظافة المحل وحالة الاشجار من نخيل وغيرها لان الجامع المذكور كان متصلا ببستان صغيرة او قل الجامع هو داخل البستان ..

وكان في شريعة السيد سلطان علي كرد خاص يرفع الماء من دجلة بواسطته فتؤمن حاجته من الماء اولا ثم تستمر السانية في طريقها تحت الارض الى جامع السيد

عبدالكريم الجيلي فتسقي البستان ومن هناك الى جامع الحاج فتحي فتؤمن حاجة السبيل الموجود فيه ..

(١٤) جامع السيد سلطان علي ـ هذا الجامع مطل على دجلة من نهر المعلى من انهار بغداد القديمة وموضعه اليوم بمحلة سبع ابكار او المربعة بلصق شركة المخازن العراقية المركز الرئيسي على شارع الرشيد في بغداد.. يقول الدروبي في بناء الجامع : ولا يعلم بالتحقيق تاريخ بناء هذا الجامع الا انه يصادف العصر الذي بنى فيه المدرسة المرجانية والنظر الى متانة كل منهما نجعلنا نقطع بان البناء متقارب في الزمان ان لم يكن مماثلا ومتانة جامع النعماني لا تختلف عنهما .. وقد ذكر العلامة الحاج علي الالوسي القاضي في تعليق له على كتاب كلشن خلفا عند ذكر الشيخ علي ما نصه : والظاهر ان الشيخ علي هذا هو المنسوب اليه جامع السيد سلطان علي فانه ولي بغداد وتولى فيها وموضوع الجامع من مرافق دار الخلافة العباسية كما اكد ذلك الاستاذ المرحوم عباس العزاوي في تاريخه .. والحقيقة ان السيد علي هو والد الصوفي الشهير السيد احمد الرفاعي صاحب الطريقة المعروفة باسمه وله ترجمة وافية تؤكد الموضع الذي دفن فيه في كتاب « روضة الناظرين وخلاصة مناقب الصالحين » للعلامة الكبير الشيخ احمد بن محمد الوتري ، الموصلي الاصل ، البغدادي الدار ، المصري الوفاة الذي توفي في سنة ٩٨٠هـ .. وفي سنة ١٢١٠هـ جدد عمارة الجامع السلطان عبدالحميد خان العثماني وانشا فيه مدرستين لتدريس العلوم العقلية والنقلية وبنى فيه حجرا لطلاب العلم .. واما الكتابات التي على باب الجامع كما يذكر الدروبي فهي بخط عثمان باور الخطاط المشهور ، وعثمان باور هذا خطاط معروف من تلاميذ الخطاط الشهير بسامي بك ومن آثاره الخطية ما كتب على الكاشاني الازرق في مشهد الامام الاعظم والشيخ معروف الكرخي والواح خطية، وكان حسن الخط دعاه من الاستانة الى بغداد الحاج حسن باشا والي بغداد ايام ولايته وفي ايامه عاد الى استانبول وتوفي هناك سنة ١٣٢٢هـ وفي هذا الجامع تكية للسادة الرفاعية من آل رجب الراوي وكان عميدها الشيخ ابراهيم الراوي ومجلسه الادبي والديني فيه يذكره اهل بغداد في جملة مجالسهم ولا تزال هذه التكية عامرة بروادها وتكون بنايتها في القسم العلوي من الجهة الشمالية من هذا الجامع ولها مكتبة قيمة تضم نوادر المخطوطات والكتب المطبوعة النفيسة ، والذي يقوم الان برعاية هذه التكية ومكتبتها الاستاذ الحاج جمال بن اسماعيل الراوي بعد وفاة الاستاذ الشاعر هاشم الراوي ـ رحمه الله ـ .

(١٥) جاءت تسمية (الباب الجنوبي) من جريان نهر دجلة من جهة الشمال الى الجنوب فيشطر مدينة بغداد الى قسمين ، فالجانب الغربي منه ويسمى (الكرخ) ، والجانب الشرقي ويسمى (الرصافة) .. اما تسمية (الباب الشرقي) فمن مدار الشمس فيكون موقع الباب في الجهة الشرقية من بغداد وهي جهة شروق الشمس وتطبق التسميتان (الشمالي او الغربي) على الباب المعظم وفقا لذلك .

(١٦) لم يكن الكاتب دقيقا من الناحية التاريخية لأنه ليس من الباحثين ، فقد انشىء هذا السور في زمن الخليفة العباسي الناصر لدين الله سنة (٦١٨) هجرية كما دل على ذلك الكتابة التي كانت على موضع من احد ابواب السور المسمى بـ (باب الطلسم) وقيل ان تاسيسه يسبق ذلك بزمن غير يسير وان الخليفة الناصر انشأ بعض اقسامه وبالاخص ابوابه !! وعلى كل حال فان السور لم يكن في زمن ابي جعفر المنصور بل ولم تكن الرصافة معروفة في زمنه ، فاول ما بني من بغداد الجانب الغربي ومن بعده بنيت الرصافة . وقد هدمه الوالي مدحت باشا بدافع عدم فائدته ولاجل توسيع بغداد ..

وما كان للسور اثر او معالم ظاهرة في بغداد سوى ابوابه الاربعة وهي القلعة الخارجيين من جهة المجيدية (المستشفى الجمهوري ومدينة الطب) ومن جهة دجلة باعتبارهما من السور لانه كان متصلا بهما وكذا ضلعي الدباغخانة اي من الباب الشرقي الى دجلة ومن هناك ينعطف على زاوية قائمة بامتداد النهر الى شريعة الفناخرة وبعض الاسس في محال اخرى متفرقة.. اما الآن فلم يبق من هذا وذاك سوى الباب الوسطاني القريب من مقبرة الشيخ عمر السهروردي وجامعه ..

(١٧) وذكر ايضا السيد محمد رؤوف الشيخلي في مذكراته مثل ذلك فقال : وكان يوجد في بغداد من العربات الخصوصية ثلاث او اربع عربات فقط وهي : عربة النقيب وعربة ابن جميل وعربة الوالي وعربة نصرت باشا مفتش الجيش .

وكان لبعض القناصل عربات ذات دولابين فقط ويجرها حصان واحد ويجلس فيها القنصل وهو سائقها وبجانبه زوجته فيخرجون للنزهة الى الباب الشرقي ثم يعودون من حيث اتوا ..

(١٨) نقع بحيرة « وان » في تركيا الشرقية بين جبال طوروس، وعلى ضفتها الشرقية تقع مدينة « وان » المشهورة ببساتينها ونوع ثمارها .

(١٩) سميت علوة المخضرات التي وقع فيها هذا الحريق الهائل بـ « خان النفط » بعد خزن صفائح النفط فيها وذكر السيد عبدالكريم العلاف في « بغداد القديمة » هذا الحريق بالتفصيل فقال : وفي مساء يوم السبت ٢٢ جمادي الاولى سنة ١٣٣٠هـ ويقابلها سنة ١٩١٢م ايام الوالي جمال باشا حدث حريق هائل في بغداد بخان النفط الواقع في محلة العوينة العائد الى السيد محمد السيد محسن آل العطار وهم من السادة الحسينيين المعروفين في بغداد ودام هذا الحريق الى يوم ٣٠ من الشهر اي الى يوم السبت وكان ما التهمته النيران يربو على ثلاثة عشر الف صندوقا من النفط ومائتين وخمسين صندوقا من الكحول (اسبرتو) ومائتين صندوقا من البانزين ، وقد كنا نشاهد صفائح النفط تتطاير بعد الانفجار في الجو ، وهذا اعظم حريق في بغداد عرفته الحكومة العثمانية .. ولعل هذا الحريق اول حريق في بغداد وعقبه حريق ثان هو الذي ذكره صاحب المذكرات لاختلاف الروايتين في تاريخ وقوعه وكمية الخسائر وان اتحد المكان في كلا الروايتين

أن حدثا في علوة المخضرات التي هي خان النفط في محلة العوبتة في بغداد .. ورواية الصلاف هذه تطابق ما اورده الاستاذ عباس العزاوي في تاريخه ج ٨ ص ٢٣٠ .

(٢٠) ورد اسم المجلة « فتاة العرب » في كتاب «اول الطريق» لمؤلفته صبيحة الشيخ داود ، حيث ذكرت فيه : « اصدرت السيدة مريم نرمه مجلة « فتاة العرب » في ٦ ايار ١٩٢٧ ، وهي (مجلة ادبية نسائية اجتماعية غايتها خدمة الفتاة العراقية) . وكانت السيدة نرمة في طليعة الكاتبات اللواتي ساهمن في معالجة الشؤون الاخلاقية والاجتماعية في الصحافة على عهد الثورة العراقية ، الا انها لم تصدر مجلة باسمها قبل سنة ١٩٢٧ ..

ولدت السيدة مريم نرمة في بغداد في ٢ نيسان ١٨٩٠م، ووالدها المرحوم روفائيل يوسف رومايا ، ولقبت باسم « نرمه » وهي كلمة كلدانية فارسية ومعناها « لطيفة » وقد اقيم لها في ١٩ مايس ١٩٤٥م احتفال تكريمي بمناسبة ذكرى اليوبيل الفضي لمشاركتها في النشاط الادبي عن طريق الصحافة ، وكان عزم نرمة معقودا على اصدار مجلة باسم « فتاة العراق » عدلت عنها الى « فتاة العرب » بعد أن صدرت مجلة تحمل نفس العنوان (وكانت صاحبة امتيازها حسيبة قاسم راجي) . وقد عاشت « فتاة العرب » ستة اشهر واضطرت صاحبتها الى ايقافها بسبب الخسران المادي الذي لحقها ، وقالت : انه بلغ ٥٤ ليرة ذهبا ...

(٢١) كان ذلك بمناسبة العيد المؤي للصحافة العراقية (١٨٦٩ ـ ١٩٦٩) والذي دعت الى الاحتفال به وزارة الثقافة والاعلام لتكريم اولئك الذين وضعوا اللبنات الأولى في صرح الصحافة في القطر العراقي ومنهم السيدة مريم نرمة وقد شاركت في هذا الاحتفال ، وقد صدرت بالمناسبة كراس عن لجنة الاحتفال يعرف بهذه الصحيفة وبترجم حياتها بسطور * اسمها الكامل « مريم نرمه » . عمرها ٧٩ عاما .. ولدت في بغداد .. ثم انتقلت الى البصرة .. وعادت الى بغداد حيث لا زالت تعيش الان .. انها عراقية .. عربية .. بدأت اول كتاباتها الصحفية في الاول من ايار سنة ١٩٢١ . وذلك في مجلة « دار السلام » الادبية التي كان يصدرها المرحوم الاب انستاس الكرملي .. وكان عنوان المقال : « ثقفوا اولادكم وبناتكم لمكافحة الاستعمار » .. ثم نشرت سلسلة من المقالات والمواضيع في صحف عراقية عديدة كان منها : جريدة « العالم العربي » ومجلة « الصباح » وجريدة « الاحد » وغيرها .. ناقشت الكثير من الكتاب العالميين في امور وطنية واجتماعية .. فقد ناقشت « الفرد كروس » الاستاذ بجامعة كاليفورنيا بامريكا وهاجمته لانه هاجم المراة العربية في مقالات نشرها في الصحف الامريكية .. وفي سنة ١٩٢٧ اصدرت جريدة « فتاة العرب » وجعلت شعارها « بلاد العرب للعرب » !! ورغم كل كتاباتها عن المراة ووجوب تثقيفها وتحررها فانها هي نفسها كانت محجبة حتى الى ما قبل بضع سنوات !! ..

وآخر ما قاله في عيد الصحافة هذا : « انني جدا سعيدة لان تاتي حكومة وطنية ولاول مرة في تاريخ عراقنا الحبيب لتعطي الصحافة حقها .. وتحتفل بعيدها .. انها امنية غالية كانت تعتمل في صدري .. وفق الله العاملين للخير والصفاء .. !!

(٢٢) انها توفيت بعد كاتب المذكرات بسنوات .. في حدود سنة ١٩٧٢ والكاتب توفي في ٦ مايس ١٩٧١ ..

(٢٣) انظر ترجمته بتوسع وتفصيل فيما يلي : ١ ـ اعلام اليقظة الفكرية في العراق الحديث : لمير بصري . الدليل العراقي لسنة ١٩٣٦ . ٢ ـ الرسالة الاسلامية ـ مجلة ديوان الاوقاف في العراق / العددان : ٧٠ و ٧١ ص ٦٤ .) ـ الدكتور داود الجلبي حياته ومخطوطاته وخزانته : فيصل دبدوب .

(٢٤) بلغت الكتب عند انضمام مكتبة الدكتور داود الجلبي الى خزائن مكتبة الاوقاف في الموصل من المخطوطات (٢٠٩) ومن المطبوعات (٧١٤٤) ..

(٢٥) انشئت مكتبة داود الجلبي عملا بوصيته لتكون مكتبة عامة في الموصل تضم كتبه ومخطوطاته .. وتم تشييدها وافتتحت في حزيران سنة ١٩٦٨ .. وظلت تزاول هذه المكتبة عملها في خدمة المواطنين حتى انضمت خزانتها الى مكتبة الاوقاف العامة في الموصل في مايس سنة ١٩٧٢ .. وبيعت قسم من هذه الكتب الى مكتبة المتحف العراقي في بغداد من قبل ورثته ..

(٢٦) هو الدكتور داود بن محمد سليم بن احمد بن محمد الجلبي الموصلي .. ولد في الموصل في ١٦ كانون الاول سنة ١٨٧٩م/١٢٩٧هـ .

(٢٧) وهذه تاليفه على سبيل الحصر : مخطوطات الموصل (١٩٧٢) ، كتاب الطبيخ لمحمد بن الحسن الكاتب البغدادي (حققه ونشره سنة ١٩٢٤) ، الآثار الارامية في لغة الموصل العامية (١٩٢٥) ، اقتراح وهو بحث موسع مرفوع الى مجمع اللغة العربية في القاهرة عن تيسير القراءة والكتابة العربية (١٩٤٤) ، كلمات فارسية مستعملة في عامية الموصل (١٩٦٠) ، قاموس فرنسي عربي للاصطلاحات الطبية الخاصة بامراض الجلد (١٩٤٦) ، الفندبداد ـ وهو من كتب المجوس المقدسة ـ ترجمه عن اللغة الفرنسية (١٩٥٢) الطبيب محمد بن زكريا الرازي (١٩٤٨) ، الموصل ـ مجموعة محاضرات ـ (١٩٤٩) .. وله عدا ذلك مقالات وبحوث كثيرة نشر معظمها في مجلة لغة العرب والمقتطف ومجلات المجامع العلمية في دمشق وبغداد والقاهرة ومجلة غرفة تجارة بغداد .. وكان داود الجلبي فيما كتب عالما واسع الافاق ، دؤوبا على العمل ، حريصا على تنظيم وقته ، حتى شملت بحوثه وكتاباته مواضيع متعددة في شتى ميادين العلم والمعرفة ..

كشاف المراجع

١ ـ البغداديون : ابراهيم الدروبي .

٢ ـ بغداد القديمة : عبدالكريم العلاف .

٣ ـ دليل خارطة بغداد : الدكتور مصطفى جواد واحمد سوسة .

٤ ـ تاريخ بغداد : سليمان فائق ترجمة موسى كاظم نورس.

٥ ـ قلم وزير : من آثار ابراهيم صالح شكر تعليق خالد محسن اسماعيل .

٦ ـ مراحل الحياة في الفترة المظلمة وما بعدها : السيد محمد رؤوف الشيخلي .

٧ ـ لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ـ الدكتور علي الوردي .

٨ ـ تاريخ العراق بين احتلالين : الاستاذ عباس العزاوي .

٩ ـ آفاق عربية العدد / ١٠ / حزيران / ١٩٧٩ . محلات بغداد لجمال بابان .

١٠ ـ لب الالباب : محمد صالح السهروردي .

١١ ـ مكتبة الاوقاف العامة تاريخها ونوادر مخطوطاتها : عبدالله الجبوري .

١٢ ـ تاريخ مساجد بغداد : محمود شكري الالوسي العلامة

١٣ ـ روضة الناظرين وخلاصة مناقب السالحين : الشيخ محمد بن احمد الوتري .

١٤ ـ المنجد في الادب والعلوم : فردينان توتل .

١٥ ـ اول الطريق : صبيحة الشيخ داود .

١٦ ـ كراس بمناسبة العيد المئوي للصحافة العراقية (١٨٦٩ ـ ١٩٦٩) صادر عن وزارة الثقافة والاعلام .

١٧ ـ اعلام اليقظة الفكرية في العراق الحديث : مير بصري.

١٨ ـ مجلة الرسالة الاسلامية / العددان : ٧٠ و ٧١ .

١٩ ـ الدكتور داود الجلبي حياته ومخطوطاته وخزانته : فيصل دبدوب .

٢٠ ـ الدليل العراقي لسنة ١٩٢٦ .

WWW.ATTAWEEL.COM